



البعث للهدى

شعارنا الرحيم



الى الاسلام من جديد

تصدر : في ندوة العلماء لکھنؤ (الهند)

Phone 22948

Regd. No. L 1692

ALBAAS - EL - ISLAMI

NADWATUL ULAMA, LUCKNOW (India)

صدر حديثاً :

من نهر كابل إلى نهر اليرموك
[جولة في غرب آسيا]

لسماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسيني الندوي
أمين عام ندوة العلماء لکھنؤ (الهند)

قام سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسيني الندوي بجولة في غرب آسيا كرئيس وفد رابطة العالم الاسلامي في فترة بين ٤ من حزيران ١٩٧٣ م و ٢٠ من آب ١٩٧٣ م و غطت هذه الجولة ستة أقطار إسلامية وهي أفغانستان و إيران و لبنان و سوريا و العراق و الأردن ، وقد سجل المؤلف أخبار هذه الجولة و انطباعاته و ملاحظاته ، و ما دار فيها من حديث و ما ألقاه فيها من محاضرات و ما حظي به من لقاءات و زيارات ، نجا الكتاب مصوراً لجوانب الحياة في هذه البلاد ، و ما تواجهه من قضايا و مشكلات و ما تعانيه من صراع فكري و حضاري و نفسي و ما تحتاج إليه من إرشاد أو إسناد حتى يكون القاري والمعنى بمصير هذه البلاد على بينة من أمرها و وعي لطبيعة الأمور و الأوضاع في هذه البلاد .

الناشر : دار الهلال - ص ب ٤٤٨ - أنقرة (تركيا)

يطلب من : المكتبات العربية الأخرى في بيروت و غيرها

Printed by S. M. HASANI at Nadwa Press, LUCKNOW

البعث الإسلامي

★ العدد الخامس

★ المجلد التاسع عشر

★ يناير ١٩٧٥ م

★ ذو الحجة ١٣٩٤ هـ

رئيس التحرير: محمد الحسيني

مدير التحرير: سعيد الأعظمي

الإشتراكات

المراسلات

الوكالات

في الهند وباكستان : عشرون روبية - ثمن النسخة رويتان
في العالم العربي : جنيهان (استرليني) (بالبريد العادي)
أربعة جنيهات (استرليني) (بالبريد الجوي)
في أفريقيا الجنوبية والشمالية : خمسة جنيهات (استرليني) (بالبريد الجوي)

العنوان البعث الإسلامي ، دار العلوم لندوة العلماء لكهنؤ (الهند)

الهاتف : ٢٩١٧٤ - ٢٢٩٤٨

برقياً NADWA, Lucknow

الإشتراكات في باكستان ترسل إلى مجلة «البلاغ» ، دار العلوم
كراچی رقم ١٤ باكستان

مكتبة المنار الكويت

● مكتبة الآداب الرياض السعودية

● مكتبة الثقافة مكة المكرمة

● مكتبة الثقافة الدوحة قطر

● شريف أحمد الحافظ ص . ب . ٤١٢ المدينة المنورة

● الشيخ عبد الرحمن محمد الدوسري الرياض المملكة العربية السعودية

● مكتبة الحرمين ص ب ٥١١ الدمام (السعودية)

● مكتبة النهضة - بريدة - القصيم - المملكة العربية السعودية

● مكتبة الفلاح الاحساء المملكة العربية السعودية

● مكتبة الايمان خميس مشيط المملكة العربية السعودية

أخي المسلم

(ندوة العلماء)

أخي في العقيدة و الدين لا في التراب و الطين ،
أخي على درب الايمان و الجهاد ، و طريق الشوك
و القتاد ، أخي في النضال و الكفاح و التضحية
و الفداء ، أخي في الحق و الصبر في الوطن
و المهجر ، أخي في مهبط الوحي و منبع الصبح
الصادق في ليل الانسانية الغاسق ، أخي في زهرة
الصحراء و درة الخليج بين الرياح العاتية و الأمواج
الثائرة ، أخي في اليأس و الرجاء و الشدة و الرخاء ،
أخي في الله ! تقدم إليك هذه المجلة سلاحاً لك
في وجه الباطل ، زاداً لك في طريق الايمان ،
عوناً لك على نوائب الحق ، نصيراً لك في صراع
النور و الظلام و معركة الجاهلية و الاسلام ،
فليكن دورك فيها دور مرابط على الثغر حارس
للأمانة أكثر من دور مشترك رسمي في مجلة ،
أوزبون في محل تجارة . . .

قامت ندوة العلماء على مبدء الجمع
بين الدين الخالد الذي لا يتغير
و بين العلم النامي الذي لا يتحجر
بين صلابة الحديد في الثبات على
العقيدة ، و بين نعومة الحرير
في اقتباس العلوم النافعة ، فينا
العالم الديني في عقيدته و عبادته
جبل ثابت ، إذا هو في علمه
و دراسته و تقدمه نهر عذب
جار ، و بينما هو في نصوص الدين
و عزائم مرابط على الثغر حارس
للأمانة ، إذا هو في تفهيمه
و دعوته جندي مهاجم و مسلح على
أحدث طراز ، و بينما هو في الأول
لا يعرف الهواة إذا هو في الثاني
لا يعرف الجهود .

في هذا العدد



وفاء الشعوب للإسلام

سعيد الأعظمي الندوي

٣

★ التوجيه الإسلامي

من -وردة البقرة

فضيلة الشيخ عبد العزيز العلي المطوع

١٠

ردة و لا أبأبكر لها

الأستاذ أبو الحسن علي الحسن الندوي

١٩

★ الدعوة الإسلامية

الطريق إلى الله

الأستاذ محمد قطب

٢٦

إذا أسلم المسلمون هذا الإسلام

الدكتور سعيد رمضان

٣٢

★ دراسات و أبحاث

الإمارة في الجهاد كما يراه فقهاء الأمة

الأستاذ عبد الرحيم صالح عبد الله

٣٧

نظرية إقبال عن الفن

الدكتور السيد محمد يوسف

٤١

إلى الضمير الخلق للعالم

عبد الحميد الصديقي

٤٧

★ الفقه الإسلامي

حقائق عن صلاحية الشريعة الإسلامية لهذا العصر

الأستاذ أمين عبد الله القرقوري

٥٥

حول تغير الأحكام بتغير الأزمان

الأستاذ أحمد محمد جمال

٦١

الرد على الشيعة

الأستاذ السيد أبو الحسن علي الحسن الندوي

٦٥

★ ربانيون

الشيخ نظام الدين الأولياء و مكانته في المجتمع الهندي

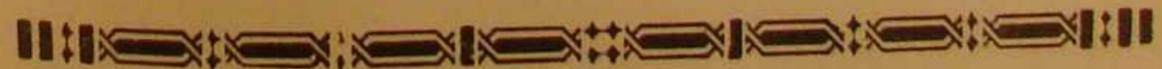
الأستاذ السيد أبو بكر الحسن

٧٦

أخبار اجتماعية و ثقافية

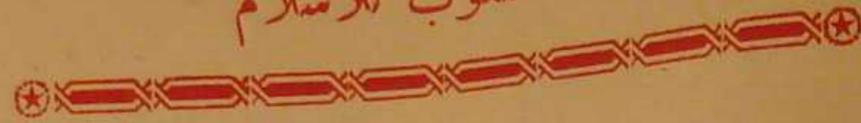
قلم التحرير

٨١



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وفاء الشعوب للإسلام



لقد أشار سماحة أستاذنا الكبير السيد أبي الحسن علي الحسن الندوي إلى حقيقة كبرى في كلمته التي ارتجلها بمناسبة الترحيب بالضيفين الكبارين سعادة الأستاذ عبدالله العقيل مدير الشؤون الإسلامية بوزارة الأوقاف لدولة الكويت والأستاذ يوسف الحججي رئيس جمعية الإصلاح الاجتماعي في الكويت ، اللذين زارا ندوة العلماء في الأسبوع الأخير من شهر شوال المنصرم (١) ، إنه أشار إلى وفاء الشعوب للإسلام ، و تمسكها بمبدأ الحق و الاعتراف بالجميل ، وذكر بوجه خاص وفاء الشعب المسلم الهندي للإسلام في أخرج ساعة من حياته وأدق فترة من تاريخه .

إن سماحة الأستاذ الندوي لفت الأنظار في الحقيقة إلى موطن الداء في جسم الأمة الإسلامية ، ذلك الذي أعيا الأطباء البارعين أن يشخصوه فاستعصى عليهم علاجه ، و عادوا منه شبه عاجزين ، قاطعين آمالهم عن البرء الكامل ، و مقتنعين بأن الجسم المريض يعاني من داء عضال ليس له إلا هذا الدواء ، كل حسب ما يترامى له .

هذا الوضع بالضبط هو ما يسود اليوم في طبقات المسلمين و يتحكم في أوساط الزعماء و الجماهير كلهم ، فالكل يعترف بأن الجسم مريض ، و يجب

(١) اقرأ تفاصيل هذه الزيارة في آخر هذا العدد ص ٨١ - ٨٣ .

أن يعالج ، و يصف له العلاج أيضاً و لكنه لا يرى من واجبه أن يتوصل إلى كنهه المرض ، و يتعمق إلى تشخيص الداء الذي أنهكه ، و نال من نضارته و قوته .

تلك هي كارثة المسلمين اليوم التي يعيشون فيها ، و يواجهون شقاءها و يذوقون ثمارها المرة أشكالا و ألواناً ، فمن أقصى الشرق إلى أقصى الغرب يتعرض المسلمون لنفس المشكلة و يشارك بعضهم بعضاً في مواجهة التحديات في دينهم و دنياهم ، و لا يتركهم الخوف من جهة و الجوع من جهة أخرى إلا و يهددهم بصفة دائمة ، و يقض مضاجعهم ، فينما الدول الغنية تأمن الجوع و الفقر إذا هي تجد نفسها أمام تهديدات الأعداء و إنذاراتهم التي تتعاود إليها فينة لأخرى ، و تعكر صفو الحياة لدى شعوبها و أبنائها ، كما أن الدول الفقيرة قد تكون في غنى عن كل تهديد و إنذار من عدو بشري ، و لكن عدو الفقر و المجاعة يكون لها بالمرصاد و يترصد لها أنواعاً من الدوائر و المشكلات .

هذه الأمة الاسلامية التي تكفل الله سبحانه ازدهارها و ضمن سلامتها و بقاءها ، الأمة التي سماها بخير أمة أخرجت للناس لم تكن جديرة بأن تنهار هذا الانهيار الفظيع و أن تفقد شخصيتها ، و تحرم وعد الله من ضمانها و سلامتها و حفظها و بقاءها ، الأمر الذي دعا كثيراً من الناس إلى أن يشكوا في كون الاسلام هو الرسالة الأخيرة للنوع البشري ، هو المنقذ الوحيد للانسان من كل عبودية ، و من كل ضلال و من كل خرافة ، و قد جر ذلك بعضاً منهم إلى أن يطالبوا بتعويض الاسلام عن دين آخر ، و رسالته عن رسالة أخرى ، و أخذ بعض آخر بالحيلة فنادى بتطوير الاسلام و تعديل مناهجه و تطبيقه مع العالم المعاصر .

هكذا و ما أشبه ذلك هو الوضع السائد اليوم مع الاسلام على جميع المستويات ، و في كل الجهات ، فكثير من المسلمين و حتى زعمائهم و دعاةهم لا يرون إلى الاسلام كنظام شامل خالد لا يحتاج إلى تطوير و تغيير في أي جزء من أجزائه ، بل ويشعرون فيه ببعض النقص بحكم التطورات و التغييرات التي تطرأ على العالم اليوم و المشكلات و الأحداث التي تتجدد في المجتمعات البشرية ، و يعتقدون أنه لا بد من وضع نظام جديد يتفق و الشكل الحديث و ينطبق مع العالم المعاصر ولو تغيرت من أجل ذلك بعض الصور في قضايا العبادة و السلوك و الاجتماع و الأخلاق .

هذه العقلية لها جولة في خفايا النفوس و سرائر الطبائع ، و هي تعمل من وراء ستور غليظة للوفاء و الفداء فتزرع بذور الشك و تغرس غراس الشبهات نحو صلاحية الاسلام و مسابرة مع العالم المعاصر بحكمة لا يدركها إلا من أكرم بقلب كبير و عقل حكيم ، و فهم سليم صحيح للاسلام ، و قليل ماعم ، و جنابة هذه العقلية المريضة التي بدأت تسرب إلى صفوف المسلمين ، و إلى نفوس الطبقة المثقفة بالثقافة الغربية معلومة واضحة ، و هي في الحقيقة العائق الثقيل في سبيل تقدم الاسلام نحو الشعوب المعذبة الشقية بحلول ناجحة للمشكلات ، و علاج ناجع للأدواء التي تعاني منها .

هذه العقلية المريضة نتيجة لمركب النقص الذي أنتجته الحضارة الغربية للمسلمين و أتخفتهم به يوم دخلت في عقر دارهم و نالت من خصائصهم و فضائلهم التي كانت ميزتهم و حدهم ، و لم يكن لشعب آخر نصيب منها ، و أول شئ استهدفته هذه الحضارة هو تغيير عقلية المسلمين عن دينهم و أفكارهم و آرائهم عن عبقرية النظام الاسلامي و مجاراته مع الطبيعة البشرية في كل حين و جيل ، و في كل زمان و مكان .

و من ثم استولى مركب نقص علينا نحن المسلمين من غير شعور بوجه عام ، و ظل يعمل في خفاء و دقة ، ينخر الجسم ، و يمرض القلب ، و يبيلد الشعور ، و تم له النجاح في الأخير بايداع أفكار مادية غريبة في نفوسنا و القضاء على المفهوم الاسلامي البقي ، و إقناعنا بأنه لا بد من تغيير و تطوير ، و بأن الاسلام لا شك دين خالد و نظام جيد إلا أنه يحتاج إلى بعض التعديلات في الفروع و في بعض الأصول أيضاً .

اقتنعت هذه الطبقة بادخال التحسينات اللازمة ، في الفروع و الأصول و في كل ما يقتضيه العصر الحاضر و تتطلبه العلوم و الصناعات و الاتجاهات الحضارية السائدة ، و هي طبقة المتجددين أو المتغربين ، و هي ليست مقبولة لدى المسلمين ، و لا معدودة في الثقات ، بل إنها تعتبر بوجه عام بعيدة عن فهم الاسلام الصحيح ، و تعد متآمراً على الاسلام مع أعدائه ، و يكرهها المسلمون بصفة عامة ، و لا يذكرونها بخير .

أما طبقة الثقات من المسلمين ، دعائهم ، و علمائهم و قادتهم ، فهي تحارب الأفكار الهدامة كلها و تدافع عن الاسلام بما تملكه من وسائل الدفاع ، و لها مواقف محمودة في الدفاع عن حوزة الاسلام و الدعوة إليه ، و تبليغ رسالته إلى كافة الشعوب و الأمم ، و هي مخلصه كل الاخلاص في إعلاء كلمة الله و إطفاء مصابيح الكفر و الشرك و الضلال ، و لكن هناك آثاراً تؤكد أن عدوى بعض العقول المريضة سرت إلى بعض العقول الصحيحة أيضاً و طفقت فكرة التجديد تتدخل من خلال بعض المسارب إلى رحاب القلب المؤمن الواسعة و تمسه بغبار من سوء الظن و تزعزع العقيدة ، مما أثار في هذا القلب المؤمن نقعاً من شك و ضعف بدون أن يشعر هو بذلك ، و نال من قوة اليقين

و الايمان و أصابه بشئ من الضعف و سوء الظن بخلود هذا الدين و شموله كل جزء من أجزاء الحياة في كل عصر و مصر .

إن هذا الوضع نذير خطر كبير على مستقبل الاسلام و الفكر الاسلامي ، و أخوف ما يخاف منه على صعيد الدعوة الاسلامية ، ولو أن علماءنا و دعواتنا لم يعتنوا بهذه الناحية و لم يركزوا جهودهم و تفكيرهم على التأكيد بأن الاسلام هو الرسالة الأخيرة الصالحة لكل جيل و عصر و الخالدة إلى يوم القيامة ، و المسيرة مع الطبيعة الانسانية بصفة دائمة ، من غير أن يفتر نشاطها أو تضحل طاقتها ، و من غير أن تؤثر عليها العوامل الخارجية من العلوم و الآداب و الحضارات و الفنون و الصناعات و الفلسفات و النظم الوضعية ، و الأساليب المتغيرة ، و الأجواء و الظروف و الأحداث ، إنه من صنع الله العليم الخبير القادر القاهر ، و من دقائق حكم الله و تقديره فلا مغزى فيه لغامز و لا مجال فيه لمفسد ، و لا مطمع فيه لمغرض يريد أن يحط من شأنه و ينال من قدره ، و يعتبره من النظم و الفلسفات التي تحتاج إلى تجديد و تغيير ، و تلوين و تصيغ كلها تقدم بها الزمن أو امتد بها العمر .

لا ليس الاسلام ديناً أو نظاماً من هذا النوع ، إنه ثابت مع الزمن ، و خالد مع الطبيعة و مسير مع الناموس الالهي دون أن يطرأ عليه طارىء أو يؤثر فيه مؤثر ، أو يغير فيه حدث أو يزيد من قيمته قوة من القوى المادية ، إنه نظام الله ، و دين الله ، و قانون الله ، فمن خضع له فكأنما خضع لله ، و من نفذه في حياته فكأنما أطاع أمر الله و رسوله ، و من استسلم أمامه فقد أسعد نفسه و حياته ، و تكفل أمنه و سلامته .

و ذلك هو معنى الوفاء للاسلام ، و معنى الوفاء لعقيدته ، أما أن يدعى

الوفاء للاسلام و يمد عينه إلى حضارات و نظم و فلسفات أخرى ، أما أن يدعى الوفاء لعقيدة الاسلام و يرى إلى معتقدات يدين بها بعض شعوب العالم الراقية المتحضرة بعين فيها تقدير و حب و إجلال فليس هذا وفاءً للاسلام ، و ليس هذا طاعة لله و الرسول بمعنى الكلمة ، و إنما هو نوع من خداع النفس ، و غرور العلم و المعلومات ، و هو ضد النص القرآني الذي ينادى بفضل المسلم المخلص و الداعي إلى الله بقوله تعالى : « و من أحسن قولاً ممن دعا إلى الله و عمل صالحاً و قال إني من المسلمين » .

إن دعوى الاسلام والوفاء له لا تسمح بأى حال بالنظر إلى جانب آخر أو اعتراف بفضل دين أو عقيدة أخرى ، إنها تحصر جهود المسلم و حياته في العمل الصالح و الدعوة إلى الله ، ثم لا مجال للوفاء لشيء لا علاقة له بهذا الدين ، أو لأسلوب لا ينبع من الايمان الخالص ، حتى و لا مجال للثناء على نظام أو فلسفة أو مذهب لا يقر به الاسلام أو يمس روح العقيدة الصافية ، في شيء أو جانب .

إن مصيبتنا ليست في الاسلام بل إنها نتيجة لنكران الجميل الذي أسدى به الاسلام إلينا و ثمرة من ثمرات الكفران ، وأى كفران أكبر من اعتبار الاسلام ديناً تقادم به العهد ونظاماً يحتاج إلى تطوير و تغيير في بعض نواحيه ! إنه غدر و خيانة للأمانة التي قلدها الله سبحانه و تعالى في أعناقنا يوم قال : « اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الاسلام ديناً »

سعيد الأعظمي الندوي

التوجيه الإسلامي

★ في رحاب القرآن الكريم : من سورة البقرة
★ ردة .. و لا أبا بكر لها

من سورة البقرة

الخامسة

الحلقة

فضيلة الشيخ عبد العزيز العلي المطوع

« قلنا اهبطوا منها جميعاً فإنا بآئنيكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، و الذين كفروا و كذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ، الآيات ٣٨ و ٣٩ من سورة البقرة .

الاستعداد و القابلية :

يظهر مما تقدم من قوله سبحانه : « اهبطوا ، بالجمع إن ذلك الخطاب موجه لآدم و زوجته من جانب ، وإبليس من الجانب الآخر ، وإن حرمان إبليس من الهدى ، إنما هو لعدم استعداده و عدم قابليته له بسبب عناده و مكابرتة و سوء توجيه إرادته ، و استعمال طاقاته لمحض الشر فقامت حجة الله البالغة عليه و على أمثاله و أتباعهم من الجنة و الناس أجمعين ، و قد هدى الله من شاء من الجن و الانس لاستعدادهم للهدى و استجابتهم للخير ، و بما جاء في هذا المعنى من كتاب الله قوله سبحانه : « إن الذين آمنوا و عملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم ، و لعل في الايمان السليم وسيلة الهدى إلى السبيل الاقوم و قال جات عظمته : « وحناناً من لدنا و زكاة و كان تقياً ، و أن يحى عليه الصلاة و السلام كان جديراً بالحنان و الزكاة من الله سبحانه بتقواه و آيات كتاب الله في مثل ذلك كثيرة اذكر منها قوله سبحانه : « و الذين جاهدوا فإنا لنهديهم سبلنا ، و قوله عظمت حكمته : « و من يؤمن بالله يهدي قلبه ، و قوله أيضاً : « يهدى إليه من أناب ، .

فمن كانت له قابلية و استعداد للخير و اتبع هدى الله عن وعى و خوف منه و رجاء (فلا خوف عليهم و لا هم يحزنون) - و من أبى الخير و كرهه ، فلا يلومن إلا نفسه لقوله سبحانه على لسان بعض رسله : « قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي و آتاني رحمة من عندي فعميت عليكم أنلزمكموها و أنتم لها كارهون ، و يقول سبحانه في مقابل ذلك : « فأنزل الله سكينته على رسوله و على المؤمنين و ألزهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها و أهلها و كان الله بكل شئ عليم ، و قوله سبحانه : « يضل به كثيراً و يهدى به كثيراً و ما يضل به إلا الفاسقين ، و قال جل شأنه : « إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله و لهم عذاب أليم ، و قوله سبحانه : « و نزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شئ و هدى و رحمة و بشرى للمسلمين ، و يقول الله في مستهل سورة البقرة : « ألم ، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ، و يقول سبحانه : « إن الله لا يهدي من هو مسرف مرتاب لينذر من كان حياً و يحق القول على الكافرين ، و أيضاً يقول جل شأنه : « إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب ، و يظهر من هذه الآيات و مثلها في كتاب الله كثير ، إن الايمان و التقوى من وسائل التماس الهداية ، و إن الهداية استعداد و قابلية ، و إنما فوق مرتبة الايمان و العمل الصالح لقوله سبحانه : « و إني لغفار لمن تاب و آمن و عمل صالحاً ثم اهتدى ، و يظهر من الآية أيضاً أن التوبة و الايمان و العمل الصالح - قواعد للهداية و دعائم وجودها : « قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا و من اتبعني و سبحان الله و ما أنا من المشركين ، « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله و اليوم الآخر و أقام الصلاة و آتى الزكاة و لم يخش إلا الله ، .

مسئولية المواهب :

كل عاقل محاسب في دائرة فلكه و على قدر توجيحه إرادته و استعمال خصائصه ، لقاء ما منحه الله من مواهب و كرامة و فضله على كثير ممن خلقه بالعقل و العلم و المسؤولية . قال سبحانه : « و لا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً » ٧٦ من سورة الاعراف و قال جل شأنه : « و هو الذي أنشأ لكم السمع و الأبصار و الأئدة قليلاً ما تشكرون » ٧٨ من سورة (المؤمنون) و يظهر من هذه الآيات أن تعطيل المواهب عن سلوك الخير . كفر بنعمة هذه المواهب و ما أجدرا الاستشهاد في هذا المقام بقوله جلّت عظمته : « وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير . فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لأصحاب السعير . إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير ، الآيات ١٠ إلى ١٣ من سورة الملك و يقول سبحانه : « أفأنت تهدي العمى ولو كانوا لا يبصرون ، « أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمى و من كان في ضلال مبين » .

الارادة :

على أن للانسان إرادة يستطيع صرفها إلى جانب الخير أو إلى جانب الشر و أنه محاسب على توجيحه هذه الارادة مع العلم بأنها إرادة جزئية تتناسب مع قدراته و إمكانياته المحدودة ، حيث إن الارادة الكلية و القدرات اللانهائية هي له وحده جلّت عظمته ، و آيات كتاب الله في مثل ذلك كثيرة ، أذكر منها قوله سبحانه : « من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذمومة مدحوراً . و من أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً ، سورة الاعراف ١٨ و ١٩ .

عنصرية الشيطان :

تقدم الكلام في اعتزاز الشيطان بعنصريته النارية ، وتعصبه لها ، وإعلان الصبان على مولاه و خالقه من أجهالها ، رغم إيمانه بفضل آدم و علمه و رسالته الكبرى على الأرض و تفوقه على «لأنك الله في السماء ، غطرسه منه و عناداً و تعالياً مما أدى به إلى مكان الغضب عليه و موضع اللعنة من ربه له ، وهي خلة من دأبها الهبوط بصاحبها إلى مهاوى السخط ، و حماة الغضب ، و موضع الكره له من الناس طراً ، و ما من مخلوق حمل هذه الراية و تعصب لها تعصباً أعماه عما سواها من امثالات الفاضلة إلا و أصبح منبوذاً من الخلق أجمعين .

عنصرية اليهود :

ثم يظهر من توجيحه النداء إلى بني إسرائيل - قبل قصة آدم و مكر الشيطان به - و كذلك بعدها - أن هناك تشابهاً بين مكر اليهود في طمس نواحي الخير الفطرية في الانسان ، و استغلال مواطن الضعف بين أبناء آدم ، لصرفهم عن مواطن العزة و الألفة والمحبة ، ثم غزوهم و التغلب عليهم مادياً و خلقياً إبقاء على عنصريتهم و اعتزازاً بها ، كما فاخر الشيطان آدم بعنصريته معتزلاً بها ، فخالف كل منهما أمر ربه و عصاه و راح يجاذب الناس بعيداً عن الجادة المستقيمة لافسادهم و الجبلولة بينهم وبين مشارق الهداية وسبل الرشاد . و لعله لذلك قد ساق الله إلى بني إسرائيل في هذه السورة الكريمة - ما يذكرهم بآلآئه و يدعوهم إلى الايمان بما أنزل الله من كتب على رسله ، و إلى إقامة الصلاة صلة بين العبد و ربه و إلى إيتاء الزكاة و عمل البر تظهيراً للأموال و ربطاً بين القلوب ، و إلى الوفاء بهده و شكره على آلآئه ،

كانقادهم من الموت غرقاً و جوعاً و عطشاً ، و بعثهم بعد موتهم ، ثم نهام سبحانه عن إلباس الحق بالباطل ، و لا يخفى ما في ذلك من إقامة الحججة عليهم كما أقبمت الحججة قبلهم على إبليس .

و قد تقدم في مقال سورة البقرة (١) أن في الآيات الخمس من مستهل هذه السورة صفات الذين أنعم الله عليهم من أهل التقوى و الهدى و الفلاح ، وكذلك ما ظهر بعدها من الآية السادسة إلى الآية العشرين ، إنها تعنى المغضوب عليهم ممن تعطلت مواهبهم و نضبت منابع البر فيهم ، فبعدوا عن منافذ الخير حيث لا يجدى معهم تهيب أو نذر ، فوصفوا بالخداع و المراوغة و النفاق ، و لم تكن هذه الصفات من سجايا العرب لما فطروا عليه من الصراحة جاهلية و إسلاماً و من حديث عن المصطفى صلى الله عليه و آله : (الناس معادن كمعادن الذهب و الفضة خبارهم في الجاهلية خبارهم في الإسلام إذا فقهوا) .

إن سورة البقرة مدنية و لم يذكر قرن النفاق إلا بين يهود المدينة المخادعين ، فوصفهم الله بقوله سبحانه في الآية ١٦ من هذه السورة : أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم و ما كانوا مهتدين .

تعاون اليهودية و الشيطان :

فكلاهما يعتز بعنصريته و يعادى من لا يجاريه في طريق المعصية ، وكلاهما يستيحي كل وسيلة في سبيل غايته الدنيئة ، و كلاهما تراه وراء مشاريع التحلل الأخلاقي و الفساد الاجتماعي تحقيباً لأغراضهم السيئة و إشاعة لأمراضهم الخبيثة ، و يضيف اليهود إلى هذه المكائد و الشراكات الشيطانية ما يقدمونه من أموال طائلة لبناء نوادي القمار و ساحات السباق و شاشات الأفلام الخليعة و مبانيات الاغراء بالعري و الاباحية ، و إنشاء محطات الاذاعة و التلفزيون

و الصحف و استئجار الأفلام و وسائل الاعلام الأخرى للإشادة بمثل هذه الأمراض الاجتماعية الفتاكة و على الرغم مما حققوه و يحققونه من أغراض دنيئة دمغت أكثر المجتمعات العالمية بوصمة الاباحية و التردى في حمأة الرذيلة و الضعف و الانصراف عن امثالات الفاضلة فان هذه المشاريع الوضعية المدبرة للسيطرة على أقدار الآخرين و مستقبلهم - قد حققت لهم أرباحاً طائلة و كونت لهم ثروات ضخمة غير مشروعة ، فكان كل ذلك بمثابة إراقة الزيت على نيران مشتعلة و هم أمام ذلك يسخرون و يتضحكون بينما العالم يحترق (كمثل الشيطان إذ قال للانسان أ كفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين) لقاء بين الشيطان و اليهود :

إن كليهما مصاب بنوبة عناد أودت بهما معاً إلى هاوية الكفر و التردى في العصيان ، فرغم إيمان الشيطان بربه و خالقه و رغم معرفته بفضل آدم و عليه و صدقه - فإنه عاند و استكبر و عصا أمر ربه في السجود لآدم مفضلاً عليه عنصريته النارية . و كذلك كان موقف اليهود من رسول الله صلوات الله عليه فانهم على الرغم من معرفتهم بفضل محمد و صدق رسالته و تأييد القرآن للتوراة و تصديقه إياه ، و رغم معرفتهم بزمان و مكان بعثه و تهديدهم قبائل الأوس و الخزرج بأنهم سينتظمون في جيش النبي العربي المبعوث بمكة و المهاجر إلى المدينة ، نعم رغم كل هذه المعارف ، فقد عاندوه و كبروه و حاربوه و كذبوا ما جاء به مما تضمنته آيات سورة البقرة التي نحن بصددنا . و لما كان في هذه الآيات صورة لما كانت عليه عقيدة اليهود من الايمان - أولاً و قبل كل شئ بعنصريتهم . و إن كل نبي لا يدعو إلى هذه العنصرية - قبل دعوته لوحداية الله - يكون نصيبه منهم التكذيب أو القتل ، و لما كان ذكر

كل ما ورد من آيات الله في هذا المقام لا يتسع له هذا المقال - فاني اکتفي بذكر آيات منها ، ابتداء من الآية ٨٧ الى ٩١ و هي : (و لقد آتينا موسى الكتاب و قفينا من بعده بالرسول و آتينا عيسى بن مريم البينات و ايدناه بروح القدس أفكلما جاؤكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم و فريقاً تقتلون ٨٧ و قالوا قلوبنا غاف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلاً ما يؤمنون ٨٨ و لما جاؤهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم و كانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاؤهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ٨٩ بس ما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغياً أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباؤوا بغضب على غضب و للكافرين عذاب مهين ٩٠ و إذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا أنؤمن بما أنزل علينا و يكفرون بما وراه و هو الحق مصدقاً لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين ٩١)

من أهداف اليهودية :

درجت اليهودية منذ القدم على محاولة هدم التجمعات التي تخشاها و لها في ذلك جولات قديمة واسعة بين هذه التجمعات سيما بين المسيحية و الاسلام . و امتداداً لخطتها ، و تنفيذاً لخططها - تعمل على إنشاء تجمعات كبيرة و خلايا صغيرة تلتقى جميعها عند مصالحة الصهيونية العالمية بمختلف الوسائل و الامكانيات و أنها تركز اليوم على التجمعات الأوروبية بعد أن نجحت في تنفيذ الكثير من مخططاتها في مساحة من العالم واسعة ، و بعد أن أدركت أن أوروبا في مركز القيادة و الاسوة و أنها تحاول تكوين وحدة أوروبية تعمل لسلامتها و سلام العالم دره لخطر يتهددها من التدين الاصفر المتوثب لالتهاهما و التهام العالم معها . و لا يخفى أن القصد من التركيز الصهيوني العنصري هو التغلغل في المجتمع

الأوربي كما تغلغل بين مجتمع الولايات المتحدة ، و شد المجتمع الأوربي إلى الجانب الصهيوني و مناصرته لضمان سيطرته العنصرية على أن أوروبا اليوم مستبقة لهذه الشراكات و الدسائس التي تاتي في طريق مشروعها الجديد ، حتى لا تسيطر عليها الصهيونية العالمية مرة أخرى ، فضلا عن أن الانبياء تبشر بعمل أوربي يقوم على تجمع جديد من نوعه بين المسيحية و الاسلام دره للكائد الشيطانية التي تحاك على أيدي الصهيونية .

إن الأمل كبير في بوادر الخير و اليقظة الجديدة تعلن الحرب على حياة المجنون و اللهو الرخيص و تكافح النزوات اليهودية و تقف منها موقف المناضل عن الحياة الفاضلة إبقاء على الأصلاح لهذا الوجود .

إن أوروبا توشك أن تعود إلى صوابها ، و تنحل - تدريجياً - من تأثير الصهيونية عليها ، و تتوحد في ظل مصالحها الخاصة بعيدة عن الجاذبية اليهودية التي سيطرت عليها زمناً طويلاً و ما تزال تسيطر على بعض جوانبها إلى اليوم ، على أن أبناء الرومان بالأمس لم ينسوا بعد ، الدور الخطير الذي كان يقوم به اليهودية للوقية بين الروم و الفرس إشعالاً لنار الحرب بينهم ، و إثراء على حساب ما يراق من دمائهم ، و احتفاظاً بمكانات مرموقة بين القوتين المتعادلتين ، و الظهور بمظهر الصديق المتعاون لكل منهما . و هكذا يقول الله فيهم : (كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله و يسعون في الأرض فساداً و الله لا يحب المفسدين) .

... بل هذه أوروبا تعود إلى الدنو من جاذبية الاسلام و تعاليمه التي حملها أجدادهم من جامعات الأندلس الاسلامية و أضواؤها ظلام القارة العتيدة ، و تلقوا عنها بشرىات القرآن نصر الروم على الفرس في مطالع النهضة

النبوية الكريمة ، وقد أكد صلتها ودعم مكانها من سماحة الاسلام - حديث سيد الانام، المروى عن المستورد القرشي صاحب رسول الله ﷺ حيث يقول: (تقوم الساعة و الروم أكثر الناس ، فقال عمرو بن العاص و كان في المجلس .. يا مستورد - أبصر بما تقول ، فقال المستورد : سمعت رسول الله ﷺ يقول : تقوم الساعة و الروم أكثر الناس ، فقال عمرو أما إذ قلت ذلك فان فيهم خصالا .. إنهم لأحلم الناس عند فتنة و أشدهم إفاقة بعد معصية ، و أشدهم كرهة بعد فرة ، و أمنعهم من ظلم الملوك ، و خامسته حسنة جميلة - و أنفعهم لفقير و يتيم و مسكين) . و لعل هذا الحديث من نبوءاته ﷺ حين تتخلص أوروبا من شراكات اليهودية العالمية ، و إنها لفي الطريق إلى ذلك إن شاء الله .

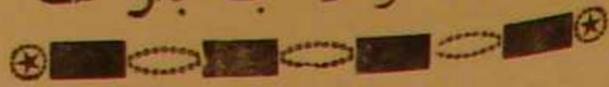
إن ماسوف يحل بالصهونية العالمية مستقبلا سيجل تلقائياً بأعاونهم و مسانديهم من شباطين الانس و الجن أجمعين ، و يأبى الله إلا أن يتم نوره و لو كره الكافرون (و ما ذلك على الله بعزيز) .

و ما أجل أن يختم هذا المقال بوضع آيات من مستهل سورة الروم وهي : (بسم الله الرحمن الرحيم - الم ، غلبت الروم . في أدنى الأرض وهم لهن بعد غلبهم سيغلبون . في بضع سنين ، لله الأمر من قبل و من بعد و يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء و هو العزيز الرحيم ، وعد الله لا يخلف الله وعده و لكن أكثر الناس لا يعلمون) .



قال تعالى
فلقا مكة
فصالحا والعه

ردة .. و لا أبا بكر لها



[٢]

الأستاذ أبو الحسن علي الحسيني الندوي

جهاد اليوم :

إن جهاد اليوم ، و إن خلافة النبوة ، و إن أعظم القربات ، و أفضل العبادات ، أن تقاوم هذه الموجة اللادينية التي تجتاح العالم الاسلامي . و تغزو عقوله و مراكزه ، و أن تعاد الثقة المفقودة إلى نفوس الشباب و الطبقات المثقفة بمبادئ الاسلام و عقائده ، و حقائقه و نظامه ، و بالرسالة المحمدية ، و أن يزال القلق الفكري و الاضطراب النفسي اللذان يساوران الشباب المثقف ، و أن يقنعوا بالاسلام عقلياً و ثقافياً ، و أن تحارب المبادئ الجاهلية التي رسخت في النفوس ، و سيطرت على العقول علباً و عقلياً ، و أن يحل محلها المبادئ الاسلامية باقتناع و إيمان و حماسة .

لقد مضى علينا قرن كامل و أوروبا تغتصب شبابنا و عقولنا ، و تبت في عقولنا الشك و الالحاد ، و النفاق و عدم الثقة بالحقائق الايمانية و الغيبة ، و الايمان بالفلسفات الجديدة الاقتصادية و السياسية ، و نحن معرضون عن مقاومتها ، و معتمدون على ما عندنا من تراث ، مضربون عن الانتاج الجديد ، معرضون عن فلسفاتنا و نظمها و محاسبتها محاسبة عليية ، و نقدها و تشريحها كتشريح الأطباء الجراحين ، متعالون بالبحوث السطحية المستعجلة بالزيادة في ثروتنا العلبية القديمة ، حتى فوجئنا في العصر الأخير بانهار العالم الاسلامي في الايمان و العقيدة ، و ملك زمام الأمور في البلاد الاسلامية جيل لا يؤمن بمبادئ الاسلام و عقيدته ، و لا يتحمس لها ، و لا تربطه بالشعب المسلم المؤمن البريئي إلا القومية الاسلامية ، أو المصالح السياسية له .

و بدأت هذه العقوبة أو النفسية اللادينية تتسرب عن طريق الأدب و الثقافة و الصحافة و السياسة إلى الجماهير ، حتى أصبحت الشعوب الاسلامية - و فيها كل خير ، و كل صلاح و كل استعداد ، و هي من أصلح الكتل البشرية في العالم - خاضعة لهذه الطبقة بحكم ثقافتها و ذكائها و نفوذها ، وإذا بقي هذا الوضع ، تسرب الاحاد و الفساد إلى هذه الشعوب و إلى الطبقات التي تعيش في البادية و القرى ، و تعمل في المصانع و المزارع ، و سارت في طريق اللادينية و الزندقة . هذا ما وقع في أوروبا وهو واقع في الشرق إذا جرت الأمور مجراها الطبيعي ، و لم تحل إرادة الله القاهرة .

إلى الايمان من جديد :

إن العالم الاسلامي في حاجة شديدة إلى دعوة إسلامية جديدة ، و إن هتاف الدعاة والعاملين فيه وهدفهم اليوم ، إلى الايمان من جديد ، و لا يكفي الهتاف . إنه لا بد من تصميم حكيم قبل العمل ، لا بد من تفكير هادئ عميق ، كيف نرد الطبقة المثقفة التي تحنكر الحياة وتملك الزمام إلى الاسلام من جديد؟ وكيف نبعث فيها الايمان و الثقة بالاسلام ، وكيف نحورها من رق الفلسفات الغربية و الحضارة العصرية و نظرياتها اللادينية .

الحاجة إلى المخلصين المتجردين عن الأغراض :

إننا في حاجة إلى رجال ينقطعون إلى هذه الدعوة ، و يكرسون عليها عليهم و مواهبهم و كفاءتهم ، و لا يطمعون في منصب أو جاه أو وظيفة أو حكومة ، و لا يحملون لأحد حقداً . ينفعون و لا ينتفعون ، و يعطون و لا يأخذون ، و لا يزاخمون طبقة في شئ تحرص عليه و تهالك ، حتى لا تكون لها حجة عليهم و لا للشيطان سبيل إليهم ، شعارهم الاخلاص والتجرد

عن الشهوات و الانانيات و العصيات .
الحاجة إلى منظمات علمية :

إن العالم الاسلامي في حاجة إلى منظمات علمية تهدف إلى إنتاج الأدب الاسلامي القوي الجديد الذي يعيد الشباب المثقف إلى الاسلام بمناه الواسع من جديد ، و يحررهم من رق الفاسفات الغربية التي آون بها كثير منهم بوعي و دراسة ، و أكثرهم بتقليد و تسليم ، و يقيم في عقولهم أسس الاسلام من جديد ، و يغذي عقولهم و قلوبهم ، إننا في حاجة إلى رجال في كل ناحية من نواحي عالم الاسلام عاكفين على هذا الجهاد .

لأنني لم أكن في فترة من فترات حياتي ممن يقول بفصل الدين عن السياسة ، و ممن يفسر الدين تفسيراً لا يتصادم مع وضع - مهما انحرف وشذ عن الاسلام - و ينسجم مع كل مجتمع ، و لا ممن يعتبر السياسة « الشجرة الملعونة في القرآن » بل أنا في مقدمة من يدعو إلى إيجاد الوعي السياسي الصحيح في الشعوب الاسلامية ، و إيجاد القيادة الصالحة ، و ممن يعتقد أن المجتمع الديني لا يقوم إلا بالملك الديني الصحيح و الحكم الصالح المؤسس على أسس الاسلام ، و لا أزال أدعو إلى ذلك حتى أتى الله ، إنما المسألة مسألة ترتيب ، و تقديم و تأخير ، و ما تقتضيه حكمة الدين و فقهه ، و ما تفرضه الأوضاع .

تجارب الماضي :

إننا بذلنا جهودنا و مواهبنا و ما أوتينا من فرص و وسائل ، في حركات سياسية و تنظيمية ، و كان كل ذلك على أساس أن الشعب مؤمن ، و أن من يقوده و يملك زمامه - و هي الطبقة المثقفة لا محالة - مؤمن

مقتنع بالاسلام و عقيدته و مبادئه ، متحمس للاسلام و علوه و نفاذ حدوده ،
و إذا الأمر بالضد ، و إذا الشعب قد ضعف في إيمانه ، و انحط في أخلاقه
من حيث لم يشعر و لم يشعر ، و إذا الطبقة المثقفة ذابت في أكثر أفرادها
العقيدة الاسلامية ، و تبخرت بتأثير فلسفات الغرب و سياسته و نفوذه ،
و كثير من أفرادها تأثر على العقيدة الاسلامية ، مؤمن بالفلسفات الغربية
و ما جاءت به من عقائد و أفكار تصادم الدين ، و ينتصر لها و يتحمس لها ،
و يحرص على نشرها و تنفيذها ، و يريد أن ينظم الحياة على أساسها و في
ضوئها ، و يصل بالشعب إليها ، فمنهم متسرع متهور ، و منهم حكيم متدرج ،
و منهم منفذ بالقوة يفرضها على الشعب فرضاً ، و منهم هادئ يزينها للشعب ،
و الهدف واحد و الغاية واحدة .

أقسام رجال الدين في معاملة « المثقفين » :

و رجال الدين - إن صح هذا التعبير إذ ليس في الاسلام السكهنوت
و الطبقة الدينية الممتازة - في ذلك فريقان : فريق يحارب هذه الطبقة حرباً
شعواء ، و يكفرها و يتعد عنها ، و يعرض عن تتبع أسباب هذا الانحسار
اللاذني ، و عن ثقافتها ، و لا يعني باصلاح الأحوال و تغيير هذا الانحسار
المعارض ، و المحاربة للاسلام بالاختلاط بها و إزالة الوحشة و النفور عن الدين
و عن رجال الدين ، و تشجيع ما عندها من خير و ذرة إيمان ، و تغذيتها
بالآداب الاسلامية الصالح المؤثر ، و بالزهد فيما عندها من حياة أو مال و قوة
وسلطان ، و تقديم النصح الخالص و التوجيه الحكيم .

و فريق يتعاون معها و يساهمها في المنافع و الخيرات ، و ينتفع بها في
دنياه من غير أن ينفعها في دينها ، فلا دعوة ولا عقيدة ولا غيرة على الدين ،

و لا حرص على الاصلاح و لا رسالة لها في هذا القرب و التعاون .
و الفريق الثالث الذي يتألم بهذا الوضع و يتوجع له ، و يعترف بأن
هذه الطبقة مريضة صالحة للتداوي مستعدة للشفاء ، و يتقدم إليها بالدعوة الرفيعة
و الرسالة الحكيمة و النصيحة الخاصة ، يكاد يكون مفقوداً ، فلا صلة لهذه
الطبقة بالدين و بالجو الديني ، تعيش في عزلة عنه وفي وحشة منه ، و لا تزدد
إلا بعداً عن الدين و ازدياداً بكل ما يتصل به ، و يزيد بها الفريق الذي يحاربها
حرباً شعواء لا هوادة فيها ، و الفريق الذي يتزعم الدين ، و يريد أن ينزع
منها الحكم ، و ينافسها في الجاه و المنصب ، لا يزيد بها الفريقان إلا بغضاً للدين
و إشفاقاً منه ، و الانسان مفطور على بغض من ينافس في دنياه ، إذا كان
لا يؤمن إلا بالدنيا ، و ينزع منه الحكم و السلطان إذا كان لا يمشي إلا على
الحكم و السلطان ، و يساهم في مادته و شهواته إذا كان لا يعرف إلا المادة
و الشهوات .

الفريق المطلوب للبعث الاسلامي الجديد :

و الأقطار الاسلامية اليوم بحاجة إلى فريق يتجرد عن المطامع ، و يخلص
للدعوة ، و يتعد عن كل ما يؤم بأن همه الدنيا و المادة ، و التغلب على
الحكومة لنفسه أو عشيرته أو حزبه ، يحل العقد النفسية و العقلية التي أحدثتها
الثقافة الغربية أو أخطأ . رجال الدين ، أو سوء التفاهم ، أو قلة الدراسة
و الابتعاد عن الاسلام و جوه بالمقابلات و الصداقات ، و المحادثات و المراسلات ،
و الرحلات ، و بالآداب الاسلامية الصالح المؤثر و بالروابط الشخصية ، و بالزراعة
و علو الأخلاق و قوة الشخصية و الزهد في حطام الدنيا و العزوف عن
الشهوات و تمثيل أخلاق الأنبياء و خلفائهم .

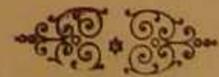
من التاريخ الماضي :

هذا هو الفريق الذي خدم الاسلام في كل عصر ، و إليه يرجع الفضل في تغيير اتجاه دولة بني أمية ، و ظهور خامس الخلفاء الراشدين ، عمر بن عبد العزيز ، و نجاحه ، و قد أعيد هذا التاريخ في عصر الملك المغولي الأكبر جلال الدين أكبر ، الذي ثار على الاسلام ، و صمم على تحويل هذه القارة الاسلامية الواسعة (الهند) التي عاشت في الحكم الاسلامي أربعة قرون ، إلى جاهلية برهمية ، و لكن بفضل هذه الدعوة الحكيمة ، و بظهور داعية إسلامي مجدد ، و شخصية (١) إسلامية حكيمة أخلصت للاسلام و أحسنت فقهه وفقه الدعوة ، و بتأثير تلاميذه عادت الهند إلى الاسلام أقوى و أفضل ، و توالى على عرش أكبر ، ملوك يتدرجون في الصلاح و حب الاسلام ، حتى جاء على العرش ملك يتجمل بتاريخ الاسلام و تاريخ الاصلاح بذكره و حديثه .

فريضة لا تحمل التأخير :

إنها فريضة لا تحمل التأخير و لا تأخير يوم واحد ، فالعالم الاسلامي يواجه اليوم موجة ردة عنيفة منتشرة في أعز أبنائه و أقوى أجزائه ، إنها ثورة على أعز ما يملك من عقيدة و خاق و قيم ، و لا بقاء للعالم الاسلامي بعد ضياع هذه الثروة التي خلفها الرسول ﷺ و توارثتها الاجيال و جاهد في سبيلها أبطال الاسلام .

فليكن الموضوع اليوم موضع دراسة واهتمام لجميع من يهمهم أمر الاسلام .



(١) هو الامام أحمد بن عبد الأحد السرهندي (٨٩٧١ - ١٠٣٤ هـ) صاحب الرسائل الخالدة المنسوبة إليه ، و صاحب الدور القيادي في الاصلاح و التجديد الاسلامي .

الدعوة الاسلامية

★ الطريق إلى الله

★ إذا أسلم المسلمون هذا الاسلام

فلا تقيس نفسك - سرّاً - إليه وتقول : ألم أكن أنا أولى منه بما هو فيه ؟
تجبه فلا تحسده على مزاياه و مواهبه بل تجبها كأنها هي ملكك ، و تمنى له
المزيد ؟ تجبه فتنجذب إليه كما ينجذب المغناطيس ، وتسرى روحك على موجات
الجاذبية خفيفة مرفرفة نشوانة كالفراشة التي ترفرف للنور ؟
إنها الطريق إلى الله . .

هل فنتنك هذه الفتاة المشوقة الساحرة النظرات ؟ هل أحسست رعشة
في كيانك و هزة في فؤادك ؟ هل اضطربت نفسك كلها كما تتحرك الرواسب
الطامدة في الماء الرائق فاذا كله قد اضطرب و ماج ، تيارات صاعدة هابطة ،
و ذرات تذهب و تجي . . و الماء الرائق صار مختلط اللون قد امتلأ بالعكاز ؟
ثم هل تذكرت أنها ليست لك ؟ و أنه ليس لك أن تتبعها بخطواتك
أو بنظراتك أو بمشاعرك ؟ هل أحسست - رغم الرغبة الجامحة التي تكاد
تنزعك من إطارك و تفلت بك من نفسك - أنك متنازل عنها . . عن
الشهوة و الفتاة ، و أنك تسترد أنفاسك اللاهثة و خفقانك المضطربة . .
و تهدأ و تطمئن ؟

إنها الطريق إلى الله . .

هل صفت نفسك في نور القمر ؟ هل سرحت طرفك في هذا الكون
الحالم الغارق في الضياء ؟ هل نسيت نفسك . و أحسست بالحواجز بينك وبين
الكون تتداوب و تختفي رويداً رويداً حتى إذا أنت جزء من العالم الواسع
الفسيح ، و هو خاطرة تملأ فؤادك ؟ هل نسيت أحقادك و ضغائنك وماينك
و بين الناس من صراع و تضارب ، و أحسست أنك و الناس جميعاً ذرات
خفيفة هائمة في الملكوت ، لا ينبغي أن تصادم - فالكون فسيح - بل ينبغي

الطريق إلى الله

★★ الأستاذ محمد قطب ★★

هل أحسست مرة و أنت تقدم مساعدة لشخص لا تعرفه ، فتقبله من
عثرة ، أو ترفع له حملاً لا يقوى على رفعه ، أو تناوله شيئاً لا تناله يده ،
أو تدله على حل لاحدى مشكلاته ، أو تقوم له بعمل هو في حاجة إليه . .
هل أحسست بالخفة تملأ نفسك ، فتكاد تحمل جسمك حملاً في الهواء ؟ هل
أحسست روحك ترفرف عالية مستبشرة ، و نشوة خفية تملأ جناحك ؟
إنها الطريق إلى الله . .

هل استأثرت مرة من صديق ، لأنه يقوم بعمل يؤذيك أو يتسبب في
مضايقتك ؟ هل هممت أن تقاطعه فلا تكلمه بعد ذلك أبداً ؟ هل جمعت أمرك
أن تلقى في وجهه كلمة قاطعة : لست صاحبي و لا أعرفك منذ اليوم ؟

ثم رددت نفسك في اللحظة الأخيرة و قلت : إنه بشر ، و كل البشر
يخطئون و أنا أيضاً أخطئ. أحياناً بغير قصد ، ثم يتبين لي ما أخطأت ؟ . .
و هل أقبلت على صديقك تكلمه كأنه لم يسيء إليك ، بل تكلمه مقبلاً عليه
و قد أعطيت نفسك و قلبك . . حقاً لا رياء . . حقاً ينبع من أعماق نفسك ؟
إنها الطريق إلى الله . .

هل أحسست نحو إنسان أنك تجبه ؟ و لست في حاجة إليه ولا تنتظر
نفعاً على يديه ؟ تجبه بلا ضغينة له في نفسك و لا غيره و لا حقد ؟ تجبه

أن يخلى بعضها الطريق لبعض ، أن تتجاذب لتسبح معاً مناسبة في النور ؟ هل أحسست أنك طليق كهذا الشعاع السارب في الفضاء . ينقل بسمه القمر الخالم إلى وجه الأرض ؟ طليق من السلاسل التي تقيدك بالأرض ، طليق من شهواتك الجائعة و رغباتك المجنونة ، و نوازع الشر الحبيسة ؟
إنها الطريق إلى الله . . .

هل أحسست بتلك القروش التي في جيبك كأنها ليست لك ؟ هل انقطعت السلسلة المتينة التي تشدك إليها و تشدها إليك ؟ هل بطل الجذب العنيف الذي يربط كلا منكما بالآخر ؟ هل أحسست بدلا من ذلك أن يدك تعبث بها لتخرجها من مكانها ، نشوانة بما تفعل ، طليقة من الشح ، نشيطة إلى العطاء ؟ هل دسستها بعد ذلك في يد فلان من الناس و انطلقت نشيطة الخطوات خفيف الروح ، كأنك تخلصت من ثقله كانت تشدك إلى الأرض ؟
إنها الطريق إلى الله . . .

هل أحسست بالألم يعتصر فؤادك ؟ ألم من كل نوع . . آلام شتى . كلها مؤلم و كلها شديدة . . هل أحسست أنك تنهاوى تحت و طأتها و أنك لا تستطيع احتمالها ؟ هل أحسست و خزها يدفعك إلى الصباح . . إلى التأوه . . إلى الانفطار . . إلى انهيار الأعصاب و انهيار السلطان على النفس ؟ ثم هل تمالكت نفسك رغم هذا ، و قلت تؤسى نفسك و تجمع شتاتها تصبرها . . فليكن ذلك في سبيل الله ؟
إنها الطريق إلى الله ؟

هل أحسست برغبة تدفعك إلى العبادة ؟ رغبة ملحة تقيمك و تقعدك ، ولا تجد راحتها إلا ابتها لا إلى الله ، و استسلاماً لله ؟ وهل خشعت نفسك

و أنت تلبى هذا الهاتف الذي يدفعك إلى الله ، و اهتز وجدانك و شعرت بالقشعريرة تسرى في كيانك ؟ هل أحسست أنك لست في عالم الأرض . لست في تلك البقعة التي يحددها الزمان و المكان المعلوم . و أنك لست أنت هذه الوشائج و العضلات و العظام . و إنما أنت أمام الله و مع الله . و أنت كيان لا حدود له و لا رسم ، لأنك روح تقبس من روح الله ؟
إنها الطريق إلى الله . . .

هل أحسست الشر يمرح في الأرض ؟ هل أحسست بهزة الغضب و أنت ترى الظلم يقع عليك و على غيرك من نبي البشر ؟ هل رأيت أنه لا يجوز لك أن تسكت و أنه ينبغي أن تتحرك و تثور ؟ و أنك أنت . . أنت قبل غيرك ، ينبغي أن تقول لهذا الشر مكانك ، فقد جاوزت حدك . و هل علمت أنك لا شك متعرض للأذى حين لا تسكت على الظلم ، و حين تأخذ على عاتقك أن تقاومه و تعترض سبيله ؟ و هل علمت أن الأذى قد يشتد عليك حتى ليسلك الراحة و الأمن و رغد العيش . . و قد يسلبك الحياة . . ثم ظلت نفسك على غضبها ، و على عزيمتها في الوقوف للظلم و صد العدوان ؟
إنها الطريق إلى الله . . .

هل ضاقت نفسك بالحياة فما عدت تطيق آلامها و قسوتها ؟ هل تملكك الضجر و اليأس ، و أحسست بالحاجة إلى الشكوى ؟ هل تلفت حواك فلم تجد من تشكو إليه ؟ لم تجد الصفي الذي يخلصك حتى لتفتح له نفسك دون تخرج و تطلعه على كل خفاياك ؟ أو لم تجد راحة في شكواك إلى الناس ؟

ثم هل تطلعت إلى السماء و انفجرت بالشكوى ؟ هل وجدت الله و شكوت له بشك و نجواك ؟ هل أحسست أن هذا اللحم الذي تطوى ضلوعك عليه قد

تدفق وتدفق ، و سال كلمات على لسانك وعبرات في عيذك ، وأنتك أرسلتها كلها إلى القوة الكبرى القاهرة التي تملك كل شئ و تقدر على كل شئ ؟ أحسست بالراحة والبرد والسلام إذ انطلقت تلك الشحنة الحبيسة و وصلت إلى غايتها ؟ وهدأت نفسك أنك أودعتها حيث ينبغي أن تودع وحيث لا تضيع ؟ إنها الطريق إلى الله . . .

هل ألمت بذنب ؟ هل جمعت نفسك فانطلقت من عقابها ، و أنت تغالبها فتغلبك ، أو تسكت عنها منذ البدء فتنتقل إلى حيث يغويها الشيطان ؟ هل وقعت الواقعة و انتهى الأمر و لم يعد إلى مرد من سبيل ؟

و هل أفقت من غفوتك على لذعات ضميرك ؟ هل نكست رأسك خجلاً من نفسك أن ضعفت و تلاشت أمام الاغراء ؟ هل أحسست أنك لا شئ ؟ أنك تافه لا تستحق التقدير و الاحترام ؟

هل انقلبت خطيبتك سجيناً يحيط بك من كل جانب ، لا مهرب منه إلا إليه ، و حيثما توجهت سد عليك الأفق و حجبه بالظلمات ؟ و هل ضاقت نفسك بالحياة ؟ . . .

ثم . . . هل انفتحت كوة من عالم الغيب و دخل منها بصيص من النور ؟

هل استروحت نسيمات تدخل إليك من عالم سحيق ؟

هل أحسست بسمة حانية تظل عليك من ملكوت الله ؟

هل أحسست يداً رفيقة تأخذ بك من كبوتك ؟

هل أحسست صوتاً يهتف بك : و الله يحب المحسنين ، والذين إذا فعلوا

فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم - و من يغفر الذنوب

إلا الله - و لم يصررو على ما فعلوا و هم يعلمون . أوأنتك جزاءهم مغفرة من ربهم و جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها و نعم أجر العاملين . و صوتاً آخر يهتف بك : « كل ابن آدم خطاء ، و خير الخطائين التوابون » و هل غمرتك غمرة من نور ؟

و هل اندفعت قائماً تذكر الله و تستغفر الله ، و تتوب إليه ، و تمشح الخطيئة من ضميرك ، و تعزم عزيمة الواثق أن ان ترجع إليها . . .

و هل أحسست أنك مندفع إلى الله أكثر حماسة مما كنت من قبل ، و أشد تعلقاً به مما كنت من قبل ، و أكثر إقبالاً على نوره مما كنت من قبل . . . إنها الطريق إلى الله . . .

هل أحسست - و قد فرغت من عمالك و من جهاد يومك - أنك لا تملك من أمر نفسك شيئاً ؟ و أنك مهما عنتها بشئون الحياة فليس من وراء ذلك إلا تعب الخاطر و مشغلة الفكر ؟ و أن عليك أن تسعى و لكذلك لا تملك نتيجة السعى و لا تعلم أيا ن مرساه ؟

هل شعرت أن القوة الكبرى هي التي تدبر كل شئ و تمنح كل شئ ؟ هل شعرت أنك أدبت واجبك كما ينبغي ، و في حدود طاقتك ، وأنه ليس في وسعك بعد ذلك إلا أن تنتظر أمر الله ؟

و هل حداك هذا إلى أن تكل أمرك إلى الله و تضع في رعايته الحمل الذي يشغل ظهرك و المشغلة التي تأكل فؤادك ؟ و هل أحسست أنك آمن على هذا الحمل حقاً و هو في رعاية الله ؟ و أنه هناك كأنك أنت الساهر على حراسته ؟ و هل ملأت قلبك الطمأنينة إليه ؟ و نمت و في خاطرك أنه يركعك و أنت نائم ، و يدبر لك أمرك و أنت غاف عن الادراك ؟

إنها الطريق إلى الله . . .

لهداية الانبياء و بهذا كان يوصى اولئك النبيون ابناهم و امهم . فتبين ان دين الله تعالى واحد في كل امة و على لسان كل نبي ، و لذلك قال في آية اخرى :
 « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي اوحينا اليك وما وصىنا به ابراهيم و موسى و عيسى ان اقيموا الدين و لا تتفرقوا فيه ، فالتفرق في الدين ما جاء الا من الجهل و التعصب الاوهام ، و المحافظة على الحفظ و المنافع المتبادلة بين المرؤوسين و الرؤساء ، فالقرآن يطالب الجميع بالاتفاق في الدين و الاجتماع على اصله : العقلي و هو التوحيد و البراءة من الشرك بأنواعه ، و القلبي و هو الاسلام و الاخلاص لله في جميع الاعمال .

و علم من هذا ان لفظ الاسلام و المسلمين في كلام ابراهيم و اسماعيل و يعقوب يراد به معناه الذي تقدم ، فمن لم يكن متحققاً بهذا المعنى فليس بمسلم اى ليس على دين الله القيم الذي كان عليه جميع انبياء الله ، واما لفظ الاسلام في عرفنا اليوم فهو لقب يطلق على طوائف من الناس لهم مميزات دينية و عادية تميزهم عن سائر طوائف الناس الذين يلقبون بالقباب دينية اخرى و لا يشترط في إطلاق هذا اللقب العرفي عند أهله ان يكون المسلم خاضعاً مستسلماً لدين الله مخلصاً له أعماله ، بل يطلقونه أيضاً على من ابتدع فيه ما ليس منه أو ما يناقبه ، و من فسق عنه و اتخذ إلهه هواه . و معنى الاسلام الذي دعا إليه القرآن تقوم به الحججة على المشركين ، و يعترف به اليهود و النصارى لأنه روح كل دين ، و هو الذي دعا إليه النبي ﷺ ، و الدعوة إلى اللقب لا معنى لها .
 فالاسلام لله هو غاية الرسل و الرسالات جميعاً :

« و له كل شئ و أمرت أن أكون من المسلمين ،

(سورة النحل الآية ٩١)

إذا أسلم المسلمون هذا الاسلام !

الدكتور سعيد رمضان

« ... ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ، وهو علم أهل الحق في حجر كل نبي و رسول ، و من يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه و لقد اصطفتناه في الدنيا و إنه في الآخرة لمن الصالحين ، إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ، و وصى بها ابراهيم بنيه و يعقوب يا بني إن الله اصطفي لكم الدين فلا تموتن إلا و أنتم مسلمون . أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك و إله آبائك ابراهيم و اسماعيل و إسحاق إلهاً واحداً و نحن له مسلمون ،
 « سورة البقرة الآية ١٣٠ ،

و قد قال الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده في هذه الآية :

« خلاصة هذه الوصية عقيدة الوحداية في العبادة و إسلام القلب لله تعالى و الاخلاص له . و تكرار لفظ (الاسلام) في هذه الآيات يراد به تقرير حقيقة الدين . ذلك أن العرب كانت تدعى أن لها ديناً خاصاً بها وأنه الحق ، و إن اختلفت فيه القبائل و الشعوب ، و منهم من كان يذمى إلى ابراهيم على وثنيهم ، و كذلك اليهود و النصارى كل يدعى ديناً خاصاً به و أنه الحق ، فبينت هذه الآيات أن هذه الدعاوى من التعصب للتقاليد و أن دين الله تعالى واحد في حقيقته ، و روحه التوحيد و الاستسلام لله تعالى و الخضوع و الاذعان

« و أمرت لأن أكون أول المسلمين » (سورة الزمر الآية ١١٢)
 « فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً » (سورة الجن الآية ١٤)
 و هو دعوتهم في الناس :

« قل إنما يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون »
 (سورة الانبياء الآية ١٠٨)

« و إلهكم إله واحد فله أسلموا و بشر المحبتين »
 (سورة الحج الآية ٣٤)

« ألا تعولوا على و أتوني مسلمين »
 (سورة النمل ٣١)

إذا أسلم المسلمون هذا الاسلام ، و فئت إراداتهم في إرادة الله واستعلن
 في حياتهم كلها أمر واحد هو أمر الله ، و استبان لهم الحياة كلها محراباً
 واسعاً يعبد الله فيه بكل حركة و سكون ، و أشرفت آياته في أنفسهم نوراً
 ينسكب من السماء ، و أوامر فيها جلال الوحي و روعة شأن الله . فانهم
 يصبحون بذلك الأمة الامينة على الحق في الأرض : نسبها فيما بينها مقاييس
 الحق ، و الشهادة على الناس بالقسط : يشهد فهمها و إيمانها و أخلاقها أن
 رسل الله قد أبلغوا ما أرسلوا به ، و أن حجة الله قد استعلنت على الناس
 في لحم و دم و ثوب مما يلبسون : في مجموعة منهم أسلم ظاهرها و باطنها واتحد
 على كلمة الله أبيضها و أسودها ، و اندفعت على أعينهم صورة حية لدعوتهم ،
 و تفسيراً عملياً لفكرتهم ، و لم يبق بعد إلا أن يأخذ الناس الاسوة بما يرون
 و يسمعون ، و يجيبوا داعي الله « آمنوا كما آمن الناس » .

هذه رسالة المسلمين في أرض الله « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا

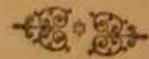
شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً » ، وهم حين أخذوا دينهم بقوة

و عملوا به كله و لم تفتنهم عنه الأهواء ، انتشر بهم نور الله و وسعت الناس
 رحمته ، و وضع عنهم الاسلام إصرهم و الأغلال التي كانت عليهم . ولكنهم
 حادوا بعد ذلك عن صراط الله و اتبعوا السبل ففرقت بهم عن سبيله و ذهب
 أمرهم فرطاً و ما ظلمهم الله . ثم نظر غير المسلمين إليهم ليقرأوا في أحوالهم
 خبر دينهم فلم يجدوا فيهم مصداق ما يسمعون من كلام ربهم و هكذا عق
 المسلمون نعمة الله و حرروا أنفسهم بركة الوحي ، و أصبحوا حجة على الاسلام
 و قد أمروا أن يكونوا حجته على الناس .

غاب المثال الذي يحتذى ، و فقد الحق أمته التي تجتمع عليه ، لا يجمعها
 غيره ، فتحكّم في الناس الهوى ، و انقسموا إلى أمم و شعوب ، لكل منهم
 هوى يدور به ، و حدود من مصلحته يحدد بها الحق و الباطل . و « أنا ،
 التي يعبدها و يكدرح من أجلها . . . »

فاستحالت الحياة إلى غاية يأكل القوى فيها الضعيف و يطغى زئير السعار
 في آجامها على كلمة الحق « رأيت من اتخذ إلهه هواه أفانت تكون عليه وكيلاً » .
 ولن يستقر في الأرض سلام إلا إذا استبدل الناس بالأهواء التي مزقتهم
 هوى واحداً يجمعهم . . . و عاطفة واحدة تدور بها أنفسهم ، و إلا إذا
 قامت مقام « أنا » الضيقة في كل فرد و أمة . . أنا الواسعة على الناس جميعاً
 « . . . أنا الله لا إله إلا أنا » .

ألا لا سلام إلا إذا أسلم الناس لله رب العالمين ، و لن يعتدل ميزان
 الحياة في الأرض إلا إذا قام عليه المسلمون .



الإمارة في الجهاد كما يراه فقهاء الأمة

إعداد : الأستاذ عبد الرحيم صالح عبد الله

الأحوال التي لا تجب فيها طاعة الأمير :

وقد تكون طاعة الأمير في الكف عن القتال خيراً من كثير من القتال. و قد يكون الظاهر الذي يعتمد عليه الجند يدلهم على شئ ، و الأمر في الحقيقة بخلاف ذلك عند الأمير ، ولا يرى الصواب في أن يطلع على ما هو الحقيقة عامة الجند ، إذ أن كثيراً من الظروف الحربية تقتضي أن يحتفظ قائد الجيش بأسرار عسكرية وبخطط حربية يضعها بنفسه أو يضعها بمعونة مساعديه ومستشاريه ، و يرى أنه لا يجوز أن تزداع بين أفراد جنده ، لأن إذاعتها بينهم قد تؤدي إلى نتائج غير سليمة ، فالرسول ﷺ كان يحتفظ بأسرار عسكرية كانت تقتضيها السياسة الحربية في الوقت الذي كان يقوم فيه بغزواته ، و تجمع كتب السيرة النبوية أنه ﷺ كان قلماً يخرج في غزوة إلا كنى عنها و أخبر أنه يريد غير الوجه الذي يصمد له ، إلا ما كان من غزوة تبوك فإنه بينها للناس و ذلك لأسباب عسكرية اقتضتها الظروف الحربية المتعلقة بتلك الغزوة و ذلك لبعث الشقة ، و شدة الزمان و كثرة العدو الذي يصمد له ليتأهب الناس لذلك أهبة فأمر الناس بالجهاز و أخبرهم أنه يريد الروم .

و كذلك فقد حصل في غزوة الخندق أن عدو الله كعب بن أسد الذي

دراسات وأبحاث

★ الإمارة في الجهاد كما يراه فقهاء الأمة

★ نظرية إقبال عن الفن

★ إلى الضمير الخائق للعالم

كان يومئذ زعيم يهود بني قريظة و كان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه و عاقده على ذلك و عاهدته قبل غزوة الخندق ، و في أثناء غزوة الخندق نقض عدو الله عهده مع الرسول ﷺ و برى مما كان بينه و بين الرسول ﷺ و عزم على حرب المسلمين إلى جانب المشركين الذين كانوا يحاصرون المسلمين في خارج الخندق ، و ذلك بتجريض من عدو الله حيي بن أخطب النضري زعيم يهود بني النضير ، فلما بلغ الرسول ﷺ خبر ذلك بعث رسول الله ﷺ سعد بن معاذ و هو يومئذ سيد الأوس ، و سعد بن عبادة و هو يومئذ سيد الخزرج ، و عبد الله بن رواحة ، و خوات بن جبير ، فقال لهم : انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا ؟ فان كان حقاً فالحنوا إلى لنا أعرفه و لا تفتوا في أعضاء الناس ، و إن كان على الوفاء فيما بيننا و بينهم فاجهروا به للناس ، و هكذا فقد اقتضت الظروف الحربية في ذلك الوقت إبقاء هذا الخبر سرياً و عدم إذاعته بين المسلمين حتى لا يضعف من عزائمهم .

ولهذا كان على الجند الطاعة لأميرهم ما لم يأمرهم بأمر يخافون فيه الهلكة و على ذلك أكثر رأى جماعتهم لا يشكون في ذلك ، فإذا كان هكذا فلا طاعة له عليهم لقوله ﷺ : لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

و روى مسلم عن ابن عمر رضی الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : « على المرء المسلم السمع و الطاعة ، فيما أحب و كره ، إلا أنه يؤمر بمعصية ، فإنه أمر بمعصية فلا سمع و لا طاعة ،

و روى مسلم عن علي رضی الله عنه ، أن رسول الله ﷺ بعث سرية و أمر عليهم أميراً ، فغضب عليهم أميرهم ، فأجج ناراً ، و قال : قد أمرتم بطاعتي فاتحموها ، فمنهم من قال : ندخلها ، و منهم من قال : لاندخلها :

فانا أسلنا فراراً من النار ، فلما رجعوا إلى رسول الله ﷺ أخبروه بذلك ، فقال : « لو دخلوها ما خرجوا منها أبداً ، لا طاعة في معصية . إنما الطاعة في المعروف لا في المنكر . » و معنى قوله ، ما خرجوا منها : أي ينقلون منها إلى نار جهنم .

و يقول الشيباني : فإذا كان عندهم أنهم لو أطاعوه هلكوا ، كان أمره إياهم بذلك قصداً منه إهلاكهم و استخفافاً بهم ، و قد ذم الله الطاعة في ذلك فقال : « فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوماً فاسقين ، (سورة الزخرف الآية : ٥٤) .

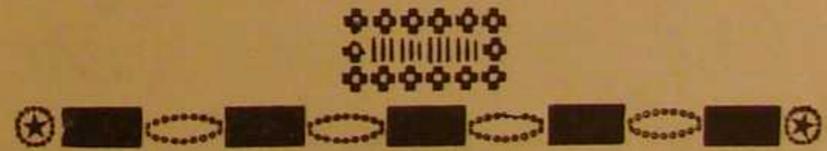
و يستدل الشيباني على عدم طاعة الأمير في معصية كذلك بما رواه في كتابه السير الكبير أن النبي ﷺ حين فتح مكة بعث خالداً إلى بني جذيمة ، فقاتلهم بعد ما سمع الأذان منهم ، و بعد ما وضعوا السلاح ، فأمر بهم فأسروا ، ثم قال : ليقتل كل رجل منكم أسيره ، فأما بنو سليم ففعلوا ذلك ، و أما المهاجرون و الأنصار فخلوا أسراهم ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : « اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد ، ثلاث مرات ، ثم أرسل علياً رضی الله عنه فودى لهم ما أصاب خالد من قليل أو كثير - أي دفع دية القتلى - .

و قد مدح رسول الله ﷺ المهاجرين و الأنصار على ما صنعوا من تخليّة سبيل الأسرى .

وبذلك استدل السرخسي أنه لا طاعة للأمر على جنده فيما هو معصية ، و لا فيما كان وجه الخطأ فيه بيناً ، فأما سوى ذلك فيبغى لهم أن يطيعوه لئلا يفشلوا إذ أن عدم الطاعة تؤدي إلى التنازع الذي يسبب الفشل كما قال تعالى : « و لا تنازعوا فتفشلوا ، (سورة الأنفال الآية ٤٦) .

وعدم طاعة امير في معصية أو في أمر فيه هلاك بين غير مشكوك فيه لا يعني الخروج عليه في كل أمر يأمر به بعد ذلك ، وإنما يجب الالتزام بجميع الأوامر الأخرى التي تصدر عنه بعد ذلك و ليس فيها أمر فيه هلاك يقيني مقطوع فيه أو أمر بمعصية ، فقد جاء في كتاب السير الكبير للشيباني : إلا أن يأمرهم بأمر ظاهر لا يكاد يخفى على أحد أنه هلكة ، أو أمرهم بمعصية فينبذ لا طاعة عليهم في ذلك و لكن ينبغي أن يصبروا و لا يخرجوا على أمرهم . و يستدل السرخسي على صحة قول الشيباني بحديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « من أتاه من أميره ما يكرهه فليصبر ، فان خالف المسلمين قيد شبر ثم مات ، مات ميتة جاهلية » .

و يقول الفقهاء أنه إن كان الناس في ذلك الأمر مختلفين فمنهم من يقول فيه الهلكة ومنهم من يقول فيه النجاة ، فليطيعوا الأمير في ذلك ، وذلك لأن الاجتهاد لا يعارض النص ، و لأن الامتناع من الطاعة فتح اسان الائمة عليهم ، و في إظهار الطاعة قطع ذلك عنهم ، فعليهم أن يطيعوه .



نظرية إقبال عن الفن

الدكتور السيد محمد يوسف

يستنكر إقبال بشدة نظرية الفن للفن ، لأن الفن موهبة من الله الخالق البارئ المصور ، و على الفنان إذا قدرها حق قدرها أن يكرسها لخدمة المثل العليا في معترك الحياة الواقعية ، يتبع ذلك أن الفن ليس أداة للترفيه والتسلية أو الهروب من الجهاد في سبيل إصلاح أحوال البشر ، و قد أكد إقبال هذه النقطة بالذات بمناسبة أن الشعر في الآداب الشرقية الاسلامية (بالأخص في إيران و الهند) كان في القرون الأخيرة انحط إلى درجة الأفقون للشعب القاعد عن العمل ، حقاً بأسف إقبال لأن شعبه يرجو منه أن يتلطف إلى الغزل و الحديث عن المرأة بينما هو (أي إقبال) يقوده إلى مرتبة كسرى في مهابة الحكم !

فالشعر إذن ليس للتأهبة بل لاثارة الوعي و إيقاظ الهمم و الحث على العمل و الاستماتة في تحقّق المثل العليا و ترويح الأقدار الخلقية السامية لأجل الخير و سعادة البشرية - و أخيراً بصرح إقبال بقوله : - ما أنا و الغناء بالشعر ؟ ما الشعر ، بالنسبة لي إلا وسيلة أتجمل بها لأهيب بالنوق الشاردة العائرة غير المزممة وأستدرجها إلى قطار الأبل المتقادة للسير إلى الهدف المعين - خلق الأقدار و تعيين الأهداف التي تنجذب و تلتئم حولها الأمة هو الوظيفة الأولى للشاعر ، و إذا فشل الشاعر فيها فويل للشعر و الشاعر و الأمة التي تمنى بهما ، وهذا بالضبط هو مغزى قوله ﷺ عن امرئ القيس « هو أشعر شعرائهم و قائد لوائهم إلى النار ، فان الفنان إذا ضل و استطاع بتأثير فنه

أن يضل فهو أضر على الأمة من ابتلا أوجنيكيز خان ، كما صرح إقبال بذلك -
 وهذه النظرية - أعني نظرية الفن للحياة وخدمة المثل العليا في الحياة
 الواقعية - تنبعث من الايقان بوجود إمكانات غير متناهية لرقى الحياة الانسانية
 بحيث إن الله خلق الانسان في أحسن تقويم ليزداد بسطة في العلم بالأسماء مع
 التمييز بين مسمياتها و الوصول إلى كنه حقيقتها وماهيتها ، وهذا العلم يستطيع
 الانسان أن يسيطر على القوى الطبيعية و يسخرها لإنجاز وظيفته الأولى ، ألا
 وهي تعميم مكارم الأخلاق و مقاومة البغي و الضغيان لسيادة العدل في المجتمع
 البشري حتى يتحقق للانسان شرفه و تفوقه على جميع المخلوقات ، و إلا إذا
 تخلى هو عن وظيفته السامية تلك فسيرد إلى أسفل سافلين من غير شك ، وليست
 الدعوة إلى الفن للفن إلا تنازلاً عن مرتبة الشرف و إضاعة للوهاب الممتازة
 في العمل غير الهادف و البعث الذي ربما يؤدي إلى المجون .

و الشعر الاتزامي أبعد شئ عن المنطق و الفلسفة الجافة التي يتعب فيها
 العقل و لا يتأثر بها القلب و لا يتحرك لها الوجدان ، فان التفكير الفلسفي
 يبني على تجزئة الحقيقة الواحدة الشاملة و تركيز الضوء على الأجزاء ، الواحد
 تلو الآخر ، ثم التقدم ببطء من مقدمة إلى أخرى للوصول إلى نتيجة لا تزال
 الشك و لا تثلج الصدر ، والشعر لا يكون شعراً إلا إذا هز المشاعر و تجاوز
 مع الوجدان ، تلك القوة المدركة الأصيلة في الانسان التي لا تتعارض مع العقل
 بل تربو على العقل في القفز إلى إدراك الحقائق الأولية مرة واحدة و بأكملها
 بدون التورط في التحليل و فحص الأجزاء على الانفراد و بدون التدرج على
 سلم المقدمات حتى تنعم النفس بالايقان الذي لا يزعهه الشك و الذي يدفع
 الانسان مباشرة إلى العمل الدائب لتحقيق المثل العليا مذلاً جميع الصعاب التي
 تعترض سبيله إليه .

فهمة الشاعر الملتزم ليست بهينة كما يتوهم بعض الناس ، فهي تلخص في
 الانطلاق من العقل إلى الوجدان و تحويل الأفكار إلى الأحاسيس و المشاعر ،
 ولا يتأتى ذلك إلا للعباقرة الأفذاذ الذين رزقوا قسطاً وافراً من العقل الناضج
 و الشعور المرهف و الذوق الكامل ، و ربما يساعدنا في تقدير هذه المهمة أن
 نتذكر أبا العلاء المعري الذي غنى بدوره بعرض الأفكار الفلسفية في القالب
 الشعري إلا أن عرضه جاء في كثير من الأحيان عرضاً بسيطاً ينقصه قوة
 التخيل و غلبة الشعور و التأثير الفني ، إنما نرى من خلال آياته صوراً للمجتمع
 تثير نقداً و حكماً من ناحية الحسن و القبح ربما يرضى العقل و لكن يترك
 القلب هامداً و لا يلهب النفس حماساً - و على العكس من ذلك يأخذ شعر
 إقبال بمجامع القالب لأنه يذيب الأفكار في بوتقة العواطف و يحدث عن
 القلب إلى القلب فيملا النفس سروراً و غبطة و حزناً و ألماً و غضباً و ثورة -
 و لناخذ مثلاً آخر فأبو العتاهية يقدم لنا النصائح و يعظنا في الأخلاق
 بقوله : « افعل كذا ، و لا تفعل كذا » و تلك طريقة الوعاظ والمرشدين ،
 وهكذا شعر أبي العتاهية إن هو إلا أوامر و نواهي منظومة بشكل بسيط سمج
 جداً ، و شتان بين من يقول « لا تكذب » و بين من يثور غضباً و نفوراً
 ضد الكذب و يبعث في النفوس داعياً إلى الجهاد ضد الكذب ، فأقبال لا يستعمل
 لغة الوعظ و الارشاد بل ينقل حماسه للخير و ثورته ضد الشر إلى مستمعيه بلغة
 العواطف ، فهل من شك في أن مهمة توجيه العواطف إلى أهداف الخير أصعب
 بكثير من إرضاء الذوق الفني فقط من غير مبالاة بالتفكير في الأهداف
 و المثل العليا ؟

فالشاعر الملتزم بوصفه شاعراً ينشر الأفكار الصالحة لا كأفكار مجردة بل
 كأنها بواعث لحالات نفسية يعانيها الشاعر و يتنفس عنها بالشعر بصفة اضطرارية

كنفثة مصدر حتى يشاركه المستمعون تلك الحالات و يسأروه إلى الغاية المقصودة ، و طبعاً هذا يتطلب منه الاخلاص التام والايان القوى بالمثل التي يلتزمها ، و هذا الاخلاص و الايمان هو سر خلود الآثار الأدبية و الفنية ، كما يقول إقبال في معرض الكلام عن « جامع قرطبة » : -

« سواء كانت المادة هي اللون أو الحجر أو الشنك أو الكلمة و الصوت ، لا توجد « آية الفن » إلا بدم الكبد »

نعم ! « دم الكبد » أو حرقرة القلب أو قوة الاخلاص و حرارة الايمان بمبدأ أو يمثل أعلى هي جوهر الشعر الالتزامى كما أنها هي السبب الحقيقى لتأثيره فى النفوس و قوام خلوده و بقاءه عبر الأزمنة و الأجيال .

وبما أن عظمة الفن إنما تقدر بعظمة الهدف يقرر إقبال أن هدف الشعر هو خلق الانسان الكامل ، و هو بالفعل يضاهى هدف الرسالات السماوية ، وعلى هذا حق للشاعر أن يكون من ورثة الأنبياء ، فليس الفن فناً إذا لم يساهم فى نمو الحياة و ازدهارها و ازدياد جمالها الخارجى و المعنوى ، فالفنان الخالق يشبهه إقبال بنسيم السحر الذى إذا هب فى البستان تفتحت البراعم و فاحت العطور و دبت الحياة وسطع الجمال ، ثم يتسامل إقبال : و ما هو ذلك النسيم الذى يترك البستان خامداً مضمحلاً ؟ مشيراً بذلك إلى الشاعر أو أى فنان آخر ، الذى لا يهدف الخلق و لا يزيد المجتمع الانسانى حيوية و جمالا .

ثم ما هي علاقة الفنان بالطبيعة و جمالها ؟ إن الذى يعكس الطبيعة فى فنه كما تعكسها عدسة آلة التصوير ليس مبدعاً بل محاكياً فقط ، كما إن الذى يكتبنى بمشاهدة الطبيعة لن يكون عالماً بل متفرجاً فقط ، إذن جمال الطبيعة ليس إلا وسيلة لحل الانسان على تفسيرها تفسيراً علمياً وأخلاقياً فى وقت واحد ، فالتفسير العلمى يهدى عالم الطبيعة لاكتشاف القوى الجبارة الكامنة فيها ، والتفسير

الأخلاقى يوفق الشاعر لاعتبار وجوه الخير من غرض الصانع فى صنعه ، وكلا التفسيرين ينتج عن الاستيلاء على الطبيعة والقدرة على التصرف فيها وتسخيرها لما فيه خير البشرية و سعادتها و رخاؤها ، أما الاغراق إلى حد الذهول فى تأمل مفاتيح الطبيعة ، الذى ربما يؤدي إلى تقديسها والسجود لها ، فذلك يعتبر إهانة اشرف الانسان كما أن الخضوع أمام مظاهر العظمة فى الطبيعة مثل القمم الشامخة والأنهار الزاخرة إنما منشأه عدم معرفة النفس وعدم التيقظ لكيفيات الانسان و مزايا تقويمه بحيث إنه و إن كان صغير الجرم خص بعلم الأسماء الذى يؤهله للتغلب على العالم المادى كله ، لا يردعه عن ذلك رادع ولا يهوله شتى من الرعد والبرق و البحر اللججى ، و لذلك لا يقف إقبال يؤكد للانسان مزيته على مظاهر الطبيعة كلها مهما كانت فاتنة أو مهولة ، فان الرجس مثلاً وإن كان يضاهى عين الانسان فى الحسن إلا أنه حرم من حاسة البصر وبالتبع حرم من العمل بينما عين الانسان تشارك فى الخلق و العمل الابداعى و ذلك بتخطيط البستان و ترتيب الأشجار و الأزهار على نموذج أحسن فأحسن .

نعم ! إن الطبيعة لا تؤقى خزائنها إلا بمقدار جهد الانسان و ربما تبدو كأنها تعوق الانسان عن الرخاء والهناء إلا أنها فى الواقع لا تعدو أن تتحدى قواه وإذا قبل الانسان هذا التحدى فانه سيجد الطبيعة منقادة إليه تجرر أذيالها ، و هذه حكمة بالغة من الله أن لا تغل الأرض إلا لمن تجشم فلاحتها ، ولكن تسخير السمات و الأرض و إعداد القوة المادية و توفير أسباب الرقى العلمى و الحضارة التكنولوجية ليس غرضاً مقصوداً لذاته ، إنما هو وسيلة لتحقيق المثل العليا و الأقدار الخلقية السامية فى المجتمع الانسانى ، و منها إقامة العدل و بسط الأمن و السلام فى العالم ، و لذلك لا يحصد الثواب فى الآخرة إلا من زرع العمل الصالح فى الدنيا .

إلى الضمير الخلق للعالم



الأستاذ عبد الحميد الصديقي

يرجع أصل فلسفة التاريخ إلى رغبة البشر في أن يجدوا الجواب الشافي

لسؤالين جوهرين هما : لماذا حدث ؟ وكيف حدث ؟

و لقد بدأ الانسان في مرحلة مبكرة جداً من الرق الانساني في محاربة

فكرة اعتبار المصادفة قوة محرّكة في الكون ، واجتهد كثيراً لكي يكتشف

القانون المسير الذي يعبر هذا الكون عن وجوده تعبيراً ملبوساً .

و لقد كان الذين سجلوا حوادث الماضي يشعرون بهذه الرغبة ، وحاولوا

أن يشبعوها بأن انتقلوا من مجرد تسجيل الحوادث تسجيلاً بسيطاً إلى أسلوب

تاريخي عملي بنوا فيه كل حادثة على حادثة أخرى و شرحوا كل واقعة بواقعة

أخرى و وصفوا الواحدة على ضوء الأخرى .

ولكن الانسان لا يمكن أن يقنع بهذا أيضاً إذ لم يوضع له هذا الأسلوب

إلا ظواهر منفصلة ، أما ما يريد به فهو أن يعرف قصة الكون ، التي لم تكن

هذه الأحداث إلا بعض أجزائها .

و قبل أن تتضح الفكرة بزمن طويل كان المعتقد أن كل وجود البشر

عملية واحدة لا تعتبر فيها الحوادث الواضحة المعينة التي هي موضوع التاريخ

المكتوب سوى مظاهر عرضية . و هكذا كان الانتقال من الكتابة التاريخية

المعروفة في سرد الحوادث سرداً قصصياً مع ذكر زمانها و مكانها الثابتين إلى

و ولاء الرجل القوي الصالح للثل العليا و الأقدار الخلقية السامية هو
الذي يسميه إقبال « العشق » - و مثل هذا التوسع في معاني الكلمات المألوفة
هو من ديدن الحكيم الأصيل و الشاعر المبتكر - فالعشق هو المحرك للعمل
و هو المولد للجرأة و روح التضحية اللازمة للتأثير في مجرى حوادث التاريخ ،
فالعقل هو الذي يخطط طريق السير ، و هو الذي يقدر الأخطار التي تحف
الطريق ثم يحنط لها ، لكن القوة الدافعة للسير إنما تأتي من العشق أو الايمان
بالواجب تجاه الأقدار السامية و تحقيق السيادة لها في المجتمع البشري ، فلو لا
العشق لما كانت هناك تضحية النفس و النفيس ، و لما كانت هناك البطولة
و الفروسية ، و العشق هو الذي يمجّد الجهاد إذا كان في سبيل الخير و في
سبيل تحقيق أغراض عالمية ، لا فردية و لا قومية ، و العشق هو الذي يخلد
آثار الفن مثل جامع قرطبة الذي يتجسد فيه ولاء بنائه للأقدار الاسلامية
السمحة و روح الجهاد و التضحية التي سارت بهم قدماً من وطهم إلى أقصى
المغرب ، إذن جامع قرطبة أبرز مثال للفن الاتزامي الهادف للثل العليا ، و ترى
ماذا كانت قيمته لو كان ركناً من أحجار مختلفة الحجم متناثرة من غير نظام
و بدون رعاية لأي غرض من بنائه ، أعني لو كان مثالا للفن التجريدي العابث ؟
و أخيراً أو ليس العشق أو العلاقة القلبية الروحية و الشعور العاطفي
النبيل هو الذي يضمن القداسة لاختلاط الجنسين في الزواج ، إذا كان الزواج
الاتزاماً بهدف المشاركة في بناء المجتمع ، و إلا فالمتعة الجنسية للمتعة - على
غرار الفن للفن - إنما ترد الانسان إلى أسفل سافلين ليس غير .



التفسير الفلسفي للتاريخ الذي يفسر هذه الحوادث تفسيراً منطقياً ويحاول، فضلاً عن ذلك، أن يكتشف القانون الذي ينظم هذه الحوادث ويحاول أن يجد في حدوثها معنى يعطى لحوادث الماضي تسلسلاً منطقياً، و ينير الحاضر ويضيء بعض جوانب المستقبل (١) .

إن فلسفة التاريخ يجب أن تبدأ من فكرة أن التاريخ يحكمه قانون ما، حتى ولو كانت المصادفة هي هذا القانون. ولكن إذا كان يجب اعتبار المصادفة قانون التاريخ فإن فلسفته ستنتهي حيث بدأت، إذ أنه إذا صح في هذه الفلسفة أن أمور البشر تخضع للحوادث العمياء التي لا يقيدهما نظام فإن يكون لهذه الفلسفة شيء آخر تضيفه إلى ذلك (٢) .

و الأمر الثاني أن الحياة البشرية ذات معنى، ولذلك ترى أن أي إنسان سوى إذا أراد أن يأتي عملاً شعورياً ففكر قليلاً قبل أن يقوم به ووضع نصب عينيه غاية معينة. ولكن يجب أن لا نعتبر هذا الفرض يعني أن الحوادث التي منها يتكون التاريخ، ذلك المركب الجميل والمعقد في نفس الوقت، كلها حوادث تمت وفقاً لغاية قد عينت من قبل. إن سلسلة أحداث العالم أو حركة الكون في الزمن مجردة من الغاية حتماً إذا عيننا بالغاية هدفاً معروفاً من قبل. هو مصير ثابت بعيد تسير المخلوقات كلها نحوه. إن اعتبار أحداث العالم ذات غاية بهذا المعنى معناه أننا نساها أصالتها أو صفتها الخلاقية. إذ ليس في التاريخ ما يسوغ الزعم بأن عقلاً ذكياً سامياً خارقاً يستخدم الإنسانية الساذجة ليحقق ما يريد. فهذا الكون كيان لم يفته صنعه فهو دائماً في توسع

(١) Max Nardau . The Interpretation of History, P. 44.

(٢) نفس المصدر .

وامتداد، وبذلك يكون مجالاً محفزاً للنشاط الانسان نشاطاً حراً خلافاً يستطيع به أن يسيطر على العالم المادي من جهة و يبلغ بقواه الفردية درجة الكمال من جهة أخرى. فهذا الكون كون نام قابل للتوسع و الامتداد إلى مدى غير محدود، إذ ربما يكمن في أعماق كيانه حلم مولد جديد. إن الكون ذو غاية، بمعنى واحد فقط هو المعنى الذي يدل على أنه انتخاني بطبيعته وأن طريقه إلى الاتيان بشيء جديد هو العمل الدائب على حفظ الماضي وإضافة شيء إليه (١)

و الأمر الثالث إن الانسان (الذي هو محور فلسفة التاريخ) ليس مجرد مركب معقد من الكهيريئات (الالكترونات) و البروتونات أو جعبة نفسية مملوءة بالدوافع النفسية . و لكنه مخلوق معقد إلى حد عجيب و لا يمكن تحليله تحليلاً علمياً . فقد كان يشعر دائماً أنه شيء أكثر من مجرد مخبر كيميائي تسييره غريزة الجنس أو غريزة الجوع . . . إننا نجد في التاريخ الاجتماعي للبشر مغامرات لا تعد و لا تحصى لم يخترتها أبداً ما يسمى بالأشعة المجهولة و لم يحلم بها أرقى الحيوانات عقلاً .

كلنا نعلم أن الانسان قد قيد داخل حدود وجوده كإنسان، وإن حياته تعينها القوانين الطبيعية و الكيمياءوية فهو قد أوجد في عالم لا يفي بحاجاته جميعاً إلا إذا جد و تعب، لذا فإنه يشعر بأن حوله محبباً مؤلماً جداً وهو يحاول أن يجعله مبهجاً .

إن الرغبة في تحقيق هذا الهدف هي غاية كل الوجود الانساني، وغاية سعى البشر منذ القدم. و لو وضعت الأسباب التي تكمن وراء أعمال الانسان في أبسط التعابير لظهر لنا أن إرادة أي امرئ لا تقررها إلا حاجاته التي تظهر

(١) محمد إقبال .

في حالته الشعورية بشكل شعور بالألم .

و هكذا نجد أن هناك نوعاً من التوتر تسببه الذات الانسانية إذ تغزو المحيط المادي ، و المحيط إذ يغزو الذات الانسانية ، وإن انتصار العالم المادي الذي ظل دائماً مستحوراً على انتباه الانسان و إرادته ، قد جعل كثيراً من المفكرين يعتقدون أن اليبثات المادية هي التي تفرض شكل مصير بني الانسان ، وقد أخذ (بكل راتسل Buckele Ratzel) فضلاً عن (كوميت Comete) و (سينسر Spencer) و (آلان دريبر Alan Draper) على عاتقهم وضع هذه القوانين . و كانوا يتجنبون ذكر العنصر البشري ، و لكن تأكيدهم على العالم المادي جعلهم يجردون التاريخ من صفته البشرية ، فلا يفرقون بين الانسان و الأحياء الأخرى العليا منها و الدنيا ، و بين النبات و الحيوان .

و كما أن التفسير الجغرافي للتاريخ مقبول لدى علماء الفيزياء فان التفسير الاقتصادي للتاريخ أكثر موافقة للعقل عند المؤرخين ، و أكثر منهم عند علماء الاجتماع . ففتح التاريخ يعتبر الآن هو الانتاج الاقتصادي للانسان . و طبعاً أن هذه النظرية كسابقتها تستند إلى حد لا يستهان به على النظرة الجغرافية للتاريخ .

و تقرر هذه النظرية أن العوز الاقتصادي النسبي هو الحافز لكل تقدم ، لذا فان عدم التناسب بين حاجات الانسان التي لا حدود لها و بين الوسائل المحدودة هو الألم الذي تسمى البشرية إلى تسكينه و تهدئته .

و حتى لو نظرت إلى هذه النظرية نظرة سريعة عابرة فانك ستقتنع بأنها قد تجاهلت الشخصية الانسانية تجاهلاً كلياً . و الحقيقة الواضحة التي لا مراء فيها

هي أن على البشرية أن تعتمد على العالم المادي لازالة الألم المتأني من حاجاتها الطبيعية ، و بالرغم من أن الانسان ليس هو خالق هذا الكون ، فان لديه الارادة و المقدرة على تسخيرها لمصاحته . و هكذا يكون للانسان في هذا العقد المبني على الأخذ و العطاء بينه و بين محيطه الطبيعي أو الاقتصادي دور فعال جداً ، يظهر به الانسان ما في وجوده من مكنونات . يقول إقبال : « إن مهمة الانسان أن يساهم في أعمق مطامح الكون من حوله و أن يقرر شكل مصيره هو و مصير الكون ، تارة بتكليف نفسه حسب قوة الكون ، و تارة ببذل كل طاقته لصياغة قوى الكون بالشكل الذي يتفق وأهدافه (أي أهداف الانسان) و غاياته (١) . »

و هنا يبرز السؤال التالي : هل في وسع الانسان أن يصل إلى هذه الغاية بمجرد السيطرة على محيطه المادي ؟ هنالك عدد غير قليل من الذين يعتقدون أنه يمكن حل الأمور المعقدة في حياة الانسان بواسطة القوانين الطبيعية . و هم يعتقدون أن التقدم السريع الذي استطاع الانسان أن يحققه في مجال السيطرة على قوى الطبيعة حقيق بأن يمنحه من الأمن و السعادة خيراً مما كان له في العصور السابقة . و لكن لو أمعنا النظر لوجدنا أنه إذا كانت الجرائم و استعمال الشدة و العنف في تلاش ، و إذا كانت قيمة حياة الانسان قد ازدادت ، فليس ذلك لانتصار الانسان على العالم المادي . بل لعله نتيجة اضعف الارادة ، و الكسل ، أو لعله لوجود رقابة و سيطرة أكثر في الدولة الرأية ، و أن

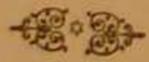
Muhammad Iqbal: The Reconstruction of Religious (١) Thought in Islam.

(تجديد التفكير الديني في الاسلام ، لمحمد إقبال) .

كل اعتداء أو تجاوز يكتشف حالا وبعاقب عليه ، حتى إن الانسان ليعيش في خوف نافع من سلطة موجودة دائماً في شعوره تراقبه . إن الانسان المتمدن ليس أحسن خلقاً من الانسان المتوحش ، وإنسان اليوم لا يختلف عن الانسان في أقدم العصور الحجرية . في أي وجه يعتبر الفوضوي الذي يرمى قذيفة دون أن يلتفت إلى أنها قد تمزق الأطفال و النساء أرباً ، أسمى من المقاتل المتوحش الذي يهاجم أعداءه بالليل و يذبح الرجال و النساء و الأطفال ؟ هل أن صاحب الشركة الخبير بالمضاربات التجارية ، الذي يكسب مئات الملايين ويسرق آلاف الأسر من كل ما لديها دون أن يتأثر أو تتحرك مشاعره ، و يقودهم بذلك إلى الشقاء واليأس و حتى إلى الانتحار بينما يغتنى هو بشمرة أتعاب حياة أهل هذه الأسر ، هل إن هذا أقل إجراماً و تلبساً بالسرقه و التقتيل من قطاع الطرق العريقين .. إننا نجد أن في الاختراعات الفنية تقدماً لا شك فيه ، ولكن هذا لا يدل أبداً على أي تقدم في سعادة البشر ، إذ أن هذه المخترعات تسهل على مخترعيها إشباع الأنانية الخبيثة في نفوسهم . بل لقد أصبح كل اختراع وسيلة لاساءات جديدة لم يكن يمكن القيام بها أبداً - أو بهذه السهولة - باستعمال آلات أقل منه كمالاً . و هكذا نجد أن التقدم العلمي ، و إن كان أحد علامات التقدم الانساني ، لا يضمن التقدم للبشر . و إنه ايندر أن ينقطع خط التقدم العلمي إلا عندما تحل بالمجتمع كارثة تدمره ، إذ أن أي شئ يتم تحقيقه في العلوم المادية يستغل اعتيادياً للاتبان بأشياء أخرى جديدة وتحسين ماتم تحقيقه . أما أمر تقدم الانسانية فيختلف عن هذا ، إذ ليس في حياة الانسان الأخلاقية تقدم حتمي ، فهي معرضة للتأخر كما هي معرضة للتقدم ، وإن ماضيها لا يضمن مستقبلها .

يتضح من ذلك أن الانسانية ليست قط مستقرة ثابتة بل هي في حركة دائبة ، ولكن حركتها ليست تقدماً دائماً . فما هو إذن القانون الذي يسيطر على حركتها ؟

لقد قلت آنفاً أن كل الأعمال التي يقوم بها الناس أفراداً أو جماعات ، طبقات أو شعوباً ، إنما يقومون بها دفاعاً عن سعادتهم ، أي عن حياتهم ، و حماية لأنفسهم من الألم . و لأجل بلوغ هذه الغاية لا بد للانسانية من أن تبذل الكثير من الجهد . و هذا يدفعها إلى العمل ، فتقهر العالم المادي وبذلك تخطو خطوة إلى الأمام في طريق التقدم . و لكن انتصار الانسان هذا يزيد حياته في كثير جداً من الأحيان ألماً بدل أن يريحه من ألم الحاجة المادية ، إذ أن أوائلك الذين وهبوا ذكاهم أكثر يفلحون في سرقة نصيبه الشرعي من كنوز الطبيعة ، و يستطيعون أن يبرروا أفعالهم مهما كانت ظالمة و جائرة على نبي الانسان بقانون أخلاقي مبني على القوانين المادية . و هكذا تتأخر الانسانية بدل أن تتقدم . فان تقدمها الحقيقي يكمن في أن ظروفها ملائمة تخلق من الطبيعة نفسها وإنها تنتقل مع هذه إلى الانسان السوي ، فالخطوة الأولى واجب العلم ، و الثانية واجب الأخلاق ، إذ بالأخلاق وحدها يستطيع المرء أن ينجو من الاغراء الذي لا يطاق و الذي يضعف النسيج الخلقى عند نبي الانسان . وبتعبير آخر يمكن أن يقال إن التقدم يكون بسيطرة المبادئ الأخلاقية على قوى الطبيعة . و قد حوى التاريخ شواهد كافية على أن القوة التي لانقيدها الأخلاق تصيب العالم بهزات عنيفة قاسية .



حقائق عن صلاحية الشريعة الاسلامية لهذا العصر



[٥]

الأستاذ أمين عبد الله القرقورى

و من أحكام الشريعة الخالدة التي أخذت بها بعض القوانين الوضعية بدلا من أحكامها التي أثبتت التجارب المريرة فشلها أو التي يدعو المفكرون إلى الأخذ بها الأحكام الآتية :

أولا : إباحة الطلاق ، يقول الأستاذ عبد القادر عودة في الجزء الأول من كتابه « التشريع الجنائي في الاسلام » ، مقارناً بالقانون الوضعي ما يأتي : « و إذا كانت الشريعة الاسلامية قد قررت حق الطلاق للزوجين من أربعة عشر قرناً وإحاطته بالضمانات القوية العادلة ، فان العالم المتحضر لم يعرف هذا الحق و لم يعترف به إلا في القرن العشرين بل كان البعض يأخذون على الشريعة الاسلامية إنها جاءت مقررة لحق الطلاق ثم دار الزمن دورته و جاء عصر العلوم و الرقي فرأى العلماء و المفكرون أن تقرير حق الطلاق نعمة .

ولا يكاد اليوم يخلو قانون وضعي من قوانين الأمم المتحضرة من النص على الطلاق و الاعتراف به ، فالقانون الروسي يبيح الطلاق للرجل و المرأة دون قيد أو شرط و قوانين بعض الولايات المتحدة الأمريكية يتيح للرجل و للمرأة معاً هذا الحق - التشريع الجنائي الاسلامي . ج ١ ص ٤٨/٤٩ . و هكذا بدأ العالم - بعد أربعة عشر قرناً - يعترف بنظرية الشريعة الاسلامية و يأخذ بها و قد لا يمضي القرن العشرون حتى تتوسع القوانين

[٥٥]

الفقه الإسلامي

★ حقائق عن صلاحية الشريعة الاسلامية لهذا العصر

★ حول تغيير الأحكام بتغير الأزمان

الوضعية في إباحة الطلاق و تطبيق نظرية الشريعة الاسلامية بمخالفاتها ،
ج ١ ص ٤٨ - ٤٩ .

و من المعروف أن السلطة التشريعية في ايطاليا صادقت أخيراً على قانون
يتفق - من حيث المبدأ - مع أحكام الشريعة الخالدة في هذا الموضوع ،
كما أن بريطانيا أصدرت في عام ١٩٦٩م قانوناً يسمح بالطلاق على أساس التفاهم
بين الطرفين ، و هو إقرار بحاجة المجتمع لمبدأ إباحة الطلاق .

و في ضوء هذه الحقيقة التي تؤكد أن أحكام الشريعة الخالدة قادرة على
مواجهة تحديات التطور الانساني ، في الوقت الذي عجزت فيه القوانين الوضعية
عن مواجعتها .

ثانياً : تحريم الخمر ، يدعو الكثيرون من القانونيين والمفكرين في الغرب
و الشرق غير المسلم ، إلى الأخذ بحكم الشريعة الخالدة في تحريم الخمر .
و لقد دعت الشريعة الاسلامية العالم إلى ترك الخمر و حرمتها على

الناس منذ القرن السابع الميلادي و لكن لم يستجب لهذه الدعوة إلا البلاد
الاسلامية ، أما ما عداها من البلاد فقد بقيت تحت سلطان الخمر حتى أثبت
العلم المادي أخيراً أن الخمر مفسدة عظيمة ، هنالك بدأت الدعوة لتحريم الخمر
تظهر و تشتد ، و قد نجحت بحيث يمكن أن يقال : إن الدعوة لتحريم الخمر
أصبحت اليوم عامة .

و يستطيع الانسان أن يرى أثر الدعوة إلى تحريم الخمر ظاهراً في
التشريعات التي صدرت في القرن الحادي فلولايات المتحدة أصدرت من عدة
سنين قانوناً يحرم الخمر تحريماً تاماً و الهند أصدرت قانوناً مماثلاً ، أما أكثر
الدول فقد استجابت للدعوة استجابة جزئية فحرمت الخمر في الأماكن العامة ،
في أوقات معينة ، كما حرمت تقديمها أو بيعها لمن لم يبلغوا سن الرشد ، كما ذكر

ذلك الأستاذ عبد القادر عودة في كتابه « التشريع الجنائي الاسلامي » ، مقارناً
بالقانون الوضعي - الجزء الأول ص ٥١ - .

و نستطيع أن ندرك مدى إكبار المفكرين الغربيين لحكم الاسلام في تحريم
الخمر حين نتأمل رأي المؤرخ العالمي آرنولد توينبي في خطرهما العظيم على الانسانية ،
وعجز القوانين الوضعية عن تحرير الانسان من سلطانها ، و قدرة روح الاسلام
على إنجاز ما عجزت القوانين عن إنجازه .

يقول المؤرخ الكبير ما نصه :

« هناك مصدران ظاهران من مصادر الخطر الأول نفسى والثاني مادي ،
و مصدران لخطر التمييز العنصري و الخمر .

و في مجال الصراع عند هذين الشرين نجد للفكر الاسلامي دوراً يؤديه
و يبرهن فيه عن قيم اجتماعية و أخلاقية سامية و الذي أتصوره أن روح
الاسلام ستكون التعزيز المناسب الذي سيقدر مصير هذه المعركة لصالح
التسامح و السلام .

أما شرب الخمر - و ما زلنا ننقل رأي المؤرخ الكبير توينبي - فهو
الآن في أوجه ، و رغماً عن أن قسماً من الرأي العام الغربي المنور قد وعى
هذا الشر و أتعب نفسه في مكافحته فان نتائج تلك المكافحة لم تتعد نطاقاً ضيقاً
جداً .. و في هذه المنطقة يمكن للاسلام أن يلعب دوره في هذا الموضوع ،
و من المنتظر أن تظهر روح الاسلام بعدة أوجه عملية وقد تكون إحدى هذه
الأوجه تحررهم من شرب الخمر و بذلك تكون قد استطاعت ما لم تستطع
القوانين الغربية إنجازها ، - محاضرة توينبي « الاسلام والغرب و المستقبل » ،
ترجمة دنيل صبحي - .

و لا يدع هذا الايضاح الرائع الذي قدمه المؤرخ الكبير عن خطر
الخمر و قدرة الشريعة الاسلامية على إنجاز ما عجزت القوانين الوضعية عن

إنجازه في حماية الانسان منه .. لا يدع هذا الايضاح الرائع مجالاً لأي تعليق .
ثالثاً : الدعوة لاباحة تعدد الزوجات : إن موقف العقائد الدينية وبعض الفلاسفة الغربيين من اباحة تعدد الزوجات يؤيد حكم الاسلام فيه رغم أن القوانين الوضعية لم تقره حتى الآن .

وقد ذكر الدكتور مصطفى السباعي في كتابه « المرأة بين الفقه والقانون » إن الاسلام لم يكن أول من شرع تعدد الزوجات بل كان موجوداً في الأمم القديمة كلها تقريباً ، كما أن اليهودية كانت تبيح التعدد بدون حد ، و لم يرد في المسيحية نص صريح يمنع التعدد ، فقد قال العالم الثقة وستر مارك أن تعدد الزوجات باعتراف الكنيسة بقي إلى القرن السابع عشر ، بل ذهبت بعض الطوائف المسيحية إلى إيجاب تعدد الزوجات ، و يعتبر المورمون - كما هو معلوم - تعدد الزوجات نظام إلهي مقدس .

وقد حدث أن مؤتمراً للشباب العالمي عقد في ميونيخ عام ١٩٤٨م وكانت من لجانه لجنة تبحث مشكلة زيادة النساء في ألمانيا أضعافاً مضاعفة بعد الحرب عن عدد الرجال ، وأقرت اللجنة توصية المؤتمر بالمطالبة باباحة تعدد الزوجات لحل المشكلة .

و في عام ١٩٤٩م تقدم أهالي بون بطلب إلى السلطات المختصة يطلبون فيه أن ينص في الدستور الألماني على اباحة تعدد الزوجات ، و قد نشرت الصحف في عام ١٩٥٩م أن الحكومة الألمانية أرسلت إلى شيخ الأزهر تطلب منه نظام تعدد الزوجات لأنها تفكر في الاستفادة منه لحل مشكلة زيادة النساء ، ثم أتبع ذلك وصول وفد من علماء الألمان اتصلوا بشيخ الأزهر لهذه الغاية . ثم إن المفكرين الغربيين الأحرار أثنوا على تعدد الزوجات وبخاصة عند المسلمين ، فقد عرض جروتبوس العالم القانوني المشهور لموضوع تعدد الزوجات فاستصوب شريعة الأنبياء في العهد القديم .

و قال الفيلسوف الألماني شو بنهور : « إذا رجعنا إلى أصول الأشياء لا نجد ثمة سبباً يمنع الرجل من التزوج بثانية » .

و تحدث المؤرخ الفرنسي غوستاف لوبون في كتابه « حضارة العرب » عن تعدد الزوجات عند المسلمين فقال إن مبدأ تعدد الزوجات نظام طيب يرفع المستوى الأخلاقي في الأمم التي تقول به و يمنح المرأة احتراماً و سعادة لا تراهما في أوروبا .

ويرى الدكتور لوبون أن القوانين الأوروبية سوف تميز التعدد ، و برغم مخالفة الفيلسوف الإنجليزي سينسر لتعدد الزوجات فإنه يراه ضرورة الأمة التي يفنى رجالها في الحرب (المرأة بين الفقه و القانون) .

و إن هذا الموقف الحديث من حكم الاسلام في تعدد الزوجات يمثل جانباً من جوانب صلاحية الشريعة لهذا العصر و حاجة الانسانية إليها .

الحقيقة الثانية عشرة :

بداية تحطم التحدي الشيوعي لبدا الملكية الخاصة في الاسلام : كانت اشتراكية كارل ماركس التي لا تعترف بمبدأ الملكية الخاصة تمثل - في نظر كثير من مؤيديها - تحدياً قوياً للإسلام و مبادئه الخالدة و منها مبدأ الملكية الخاصة الذي يعتبره من حقوق الفرد التي يحتم على الدولة حمايتها .

ولكن الاشتراكية الماركسية فقدت هذا التحدي المزعوم للإسلام واضطر المسؤولون في الاتحاد السوفياتي نفسه إلى التراجع عن الموقف الماركسي من الملكية الخاصة تحت ضغوط تجارهم المريرة التي انتهت إلى الفشل الذريع في إيجاد حافز بديل للانسان للعمل و الانتاج محل محل نزعته إلى الملكية الخاصة .

و كانت نتائج هذا التراجع تعديل دستور الاتحاد السوفياتي و إضافة المادتين ٧ و ١٠ إليه و نصهما كما يأتي :

مادة - اكل عائلة من عائلات المزارع التعاونية - بالإضافة إلى دخلها الأساسي الذي تكونه من اقتصاد المزرعة التعاونية - أن تملك قطعة أرض خاصة بها يلحق بها سكن تملكه العائلة و ماشية منتجة و طيور كلكتية خاصة بها .
مادة ١٠ - إن حق الملكية الشخصية للمواطنين في دخلهم و توفيرهم الناجمين عن عملهم و كذلك حقهم في الارث موصون بموجب القانون .

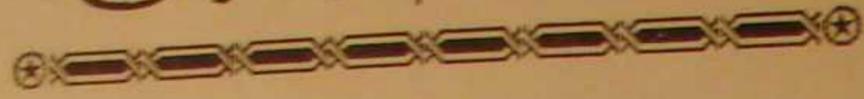
و إلى جانب ذلك سمح القانون السوفياتي بتقدير الأثمان للسلع الكالبية و أقر تفاوت الأجور و أحوال المعيشة و وضعت السلطة المركزية أجوراً للتعليم العالي بحيث أصبح وفقاً على أبناء الطبقة ذات الدخل المرتفع من كبار الموظفين و الفنانين .

و في ضوء نتائج المقارنة بين إنتاج الملكيات الخاصة و العامة اتضح للمثولين السوفيات أن نسبة الأراضي المملوكة للفلاحين تبلغ ٣ ٪ (ثلاثة بالمائة) بالنسبة لأراضي الدولة و مع ذلك أنتجت أكثر من ٥٠ من اناج البطاطا في الاتحاد السوفياتي كله .

و لذلك ألغيت حدود الملكية الخاصة في جمهوريتي أوكرانيا و إستونية كما أعلنت ذلك وكالة تاس السوفياتي في ٦ أكتوبر ١٣٦٤ و يقول الكسي كوسغين : إن السبب الوحيد لتدهور الانتاج الزراعي يعود إلى فقدان المصلحة الخاصة بالفلاح - التشريع الاسلامي و حاجتنا إليه تأليف محمد الصباغ - .

و إن بداية انحسار التحدي الشيوعي لمبدأ من مبادئ الشريعة الخالدة يدل على صلاحية مبادئها لهذا العصر .

حول تغيير الأحكام بتغير الأزمان



بقلم الأستاذ أحمد محمد جمال

في مجلة « البعث الاسلامي » الهندية العدد (٧) صفر ١٣٩٣ هـ بحث للدكتور معروف الدواليبي عن التصوص الشرعية و تغيير الأحكام بتغير الأزمان جاء فيه : (إن التغيير للحكم لم ينسخ نصه من قبل الشارع أجازته الشريعة الاسلامية للاجتهدين من قضاة و مفتيين .. تبعاً لتغير المصالح في الأزمان ، و امتازت بذلك على غيرها من الشرائع ، و أعطت فيه درساً بليغاً عن مقدار مانعطيه من حرية للعقول في الاجتهاد ، و من تقدير لتحكيم المصالح في الأحكام .
ثم أورد كاتب البحث نقلاً عن ابن القيم - من كتابه (اعلام الموقعين) بعنوان « فصل في تغير الفتوى و اختلافها بحسب تغير الأزمنة و الأمكنة و الأحوال و اليثات و العوائد جاء فيه قوله : (هذا فصل عظيم النفع جداً .. وقع بسبب الجهل به غلط عظيم على الشريعة ، أوجب من الحرج و المشقة و تكليف ما لا سبيل إليه ما يعلم أن الشريعة الباهرة التي هي في أعلى رتب المصالح لا تأتي به .. فان الشريعة مبناه و أساسها على الحكم و مصالح العباد في المعاش و المعاد ، و هي عدل كلها ، و رحمة كلها ، و مصالح كلها ، و حكمة كلها .. فكل مسألة خرجت من العدل إلى الجور ، و عن الرحمة إلى ضدها ،

و عن المصلحة إلى المفسدة ، و عن الحكمة إلى العبث ، فليست من الشريعة
و إن أدخلت فيها بالتأويل) .

الاستدلال باجتهادات عمر ..

و استدل الكاتب على قوله : « بتغيير الاحكام بتغير الأزمان » باجتهاد
حين قطع عطاء المؤلفه لولهم تبعاً لتغير المصلحة ، حين رأى أن الاسلام ليس
بحاجة إلى تألفهم ، و يوقف عمر أيضاً لحد السرقة في عام المجاعة .. و رأى
أن في ذلك تغييراً لحكم السرقة الثابت بنص قرآني عملاً بتغير الظروف التي
أحاطت بالسرقة .

و استدل كذلك بمنع عمر تقسيم أراضي العراق و أراضي مصر والشام
على المجاهدين الفاتحين الذين طالبوا بتقسيمها بينهم ، و ما كان من موافقة بعض
الصحابة له و مخالفة أكثرينهم : و ما قاله معاذ مؤيداً لفعل عمر : « إنك
أن قسمتها صار الربع العظيم في أيدي هؤلاء القوم ، ثم يبدون فيصير ذلك إلى
الرجل أو المرأة ثم يأتي من بعدهم قوم يسدون من الاسلام مسداً ، و هم
لا يجدون شيئاً ، و يعقب الكاتب على ذلك بقوله : (و كأنه ينكر - أي معاذ -
على الناس ما ينكر الاشتراكيون اليوم على الاقطاعيين فما أبدع ما يقول) .

ثم ذكر الكاتب ما كان من عمر من جعل الطلاق الثلاث في لفظ واحد
طلاقاً بائناً ، مع أنه كان في زمن الرسول ﷺ و عهد أبي بكر بعد طلقه
واحدة ، و أورد تعليق ابن القيم على اجتهاد عمر و أسبابه من استهانة الناس
بالطلاق ، و استدجالهم في أمر كانت لهم فيه أناة ، و ما كان من موافقة
الصحابة لعمر فيما أمضاه إلى أن قال ابن القيم في ختام تعليقه : « فهذا ما تغيرت
به الفتوى بتغير الزمان » .

و أضاف الكاتب أن ابن القيم وابن تيمية أفتيا بالعودة إلى ما كان عليه
أمر الطلاق في العهد النبوي ، و هو عد الطلاق الثلاث في مجلس واحد طلقه
واحدة .. لما رأى من عبث الناس في تحليل المطلقة ثلاثاً باللفظ واحد .

تغير الفتوى .. لا تغير الحكم :

و ملاحظتنا على هذه المقالة هي :

● أولاً - إن الكاتب يقول بتغير الاحكام - هكذا - بتغير الأزمان ،

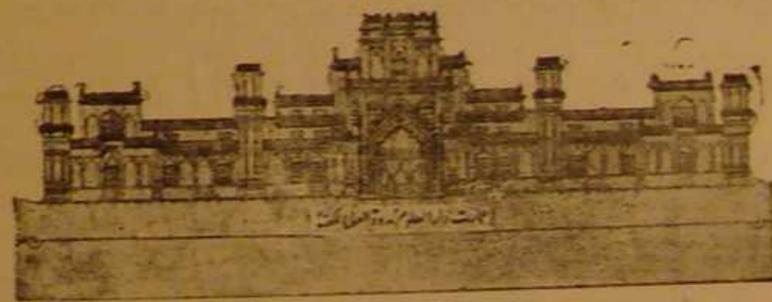
مع أن ما حدث في عهد عمر رضي الله عنه و غيره هو تغير الفتوى بتغير
الزمان .. و الفتوى مؤقته بزمانها و حكاهما و أشخاصها . أما الحكم ثابت
و دائم لكل زمان و مكان . و لذلك عبر الفقهاء و منهم ابن القيم وابن تيمية
حين تحدثوا عن (الاجتهاد) و عن اجتهادات عمر بالذات بقولهم : فهذا
ما تغيرت به الفتوى لتغير الزمان ، كما أنهما رأيا العودة إلى الحكم الأصيل الذي
كان متبعاً في العهد النبوي ، و عهد أبي بكر لما شهداه في زمانها من عبث
الناس في تحليل المطلقة ثلاثاً في مجلس واحد ..

● ثانياً - توضيحاً لما سبق نقول : إن اجتهادات عمر و غيره إنما كانت
استثناء لظروف وأوضاع لم تتوفر فيها الموجبات أو المبررات لانزال الاحكام
في قضاياها . كالسرقة في عام المجاعة ، و افتقاد الحاجة إلى الموافقة لولهم لقوة
الاسلام و عزته يومذاك .

● ثالثاً - نوكد أنه لا يجوز أن يقال « تغير الاحكام » فالاحكام ثابتة
بالقرآن و السنة .. و لا تتغير كما هو الشأن في حد السرقة ، و حد الزنا ،
و حد الخمر ، و احكام المعاملات الأخرى . وإنما تتغير الفتوى بتغير الظروف
و الأوضاع إذا لم تتوفر الشروط و الموجبات لتطبيق هذه الاحكام ..

الفرق بين رأى معاذ و المذهب الاشتراكي :

١ رابعاً - إن معاذاً رضى الله عنه لم ينكر في قضية تقسيم أراضى سواد العراق و الشام و مصر كانكار الاشتراكيين لهذه الاقطاعات الرأسمالية الحديثة ، كما يقول الكاتب . . . فهناك فرق فارق بين تلك الأراضى و إبقاء ريعها لكافة المسلمين جيلاً بعد جيل لأنها غنيمة في حرب إسلامية عادلة . أما الاشتراكيون فيسلبون الملاك أموالهم و حقوقهم . و صناعاتهم لتستولى عليها الدولة ، و تحرمهم من ثمرات كدهم و اجتهادهم و كسبهم و هذا أمر ينكره الاسلام إلا بحقه . . . و هو الزكاة و ما يراه ولى الأمر من فروض أخرى تلزمهم مع إبقاء ملكياتهم صناعة أو زراعة أو تجارة في أيديهم يتصرفون فيها و بها كيف شاءوا بعد أداء ما أوجب الاسلام عليها من حقوق و ما وضع من التزامات ، و ما حد حولها من حدود .



الرد على الشيعة

(٢)

الأستاذ السيد أبو الحسن على الحسنى الندوى
تعريب : سعيد الأعظمى الندوى

انتساب الرافضة إلى ولد الحسين و مدحهم لهم مصيبة : يرى ابن تيمية أن الرافضة أصدقاؤه حتى لأهل البيت ، فإن مبالغتهم في أمر أهل البيت و غلوهم ، و نسبة الأحداث و الروايات المزورة إليهم تنال من سمعتهم ، و تحط من شأنهم ، يقول :

« من المصائب التي ابتلى بها ولد الحسين انتساب الرافضة إليهم و تعظيمهم و مدحهم لهم ، فإنهم يمدحونهم بما ليس بمدح و يدعون لهم دعاوى لا حجة لها ، و يذكرون من الكلام ما لو لم يعرف فضلهم من كلام غير الرافضة لكان ما تذكره الرافضة بالقدح أشبه منه بالمدح (١) »

و يقول في موضع آخر :

« و لكن القوم جهال بحقيقة المناقب و المثالب و الطرق التي يعلم بها

ذلك » (٢) .

نتائج العصية : استطاع مؤلف « منهاج الكرامة » أن يجمع قدراً كبيراً من الآيات و الأحاديث و الروايات كدليل على إمامة سيدنا على رضى الله عنه و في مناقب أئمة أهل البيت رضى الله عنهم ، إن نظرة قليلة في هذه

(١) منهاج السنة ج ٢ ص ١٢٥ . (٢) أيضاً ج ٢ ص ١٢٦ .

الآيات و الأحاديث و الروايات تبين مدى أضرار العصية التي تحرف بالمرء من الجادة الصحيحة إلى ضلال و جهل ، إن معظم هذه الروايات إما لاعلاقة لها بأهل البيت بتاتاً ، أو أنها تتناقض مع المعاني التي يريد أن يثبتها منها ، كما أن أكثرها ضعيفة و موضوعة و قد وصفها ابن تيمية بأنها « الروايات المسببة التي لا زمام لها و لا خظام ، و قد بلغ المؤلف الراضى في ذلك من الوقاحة و الجراءة مبلغاً لا يتصوره العقل ، فقد نسب كثيراً من هذه الروايات إلى الصحيحين ، و كثيراً منها إلى مسند أحمد بن حنبل ، و جاء ابن تيمية فكشف عنها القناع و أثبت أنها لا توجد لا في الصحيحين و لا في المسند ، و أثبت أن بعضاً منها موضوعة لا توجد في أى مجموعة من الأحاديث و لا في دواوين الحديث ، و بما أن الراضة أجهل الناس بالكتاب و السنة لا يستطيعون أن يفهموا مصطلحات عادية فلا يترددون شيئاً في الكذب و التزوير بعض الأحيان .

أما بخصوص الآيات فقد جاء المؤلف في تفسيرها بما لا يقل عن الملح الخرافية ، و ما أن يقرأ أحد تفسيره للآيات إلا و يتذكر الملحة المعروفة التي تدور حول : ساغب سئل عن اثنين كم يكون بعد الضرب في اثنين فقال أربع خبز ، و قد أدرج المؤلف في كتابه أربعين آية و يعتقد أنها نزلت في سيدنا علي رضي الله عنه ، نذكر منها البعض :

الآية « اليوم أكملت لكم دينكم و آتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الاسلام ديناً » يذكر المؤلف في تفسير هذه الآية حديثاً لأبي نعيم يفيد أنها نزلت بعد خطبة غدیرخم ، و قال رسول الله ﷺ : الله أكبر على إكمال الدين و إتمام النعمة و رضا الرب برسالي و بالولاية لعلي من بعدى .

يثبت ابن تيمية على طريقة المحدثين أن هذا الحديث موضوع باجماع أهل الفن ، و لا يوجد في أى كتاب من كتب الحديث الموثوق بها ، ثم يثبت عن طريق التاريخ و التفسير و يقول إن كتب الصحاح و المسانيد و التفسير تؤكد أن هذه الآية إنما نزلت في عرفة و هو واقف بها ، و قال رجل من اليهود لعمر بن الخطاب رضي الله عنه يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك عيداً ، فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه أى آية هي ؟ قال قوله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم و آتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الاسلام ديناً » فقال عمر : إني لأعلم أى يوم نزلت و في أى مكان ، نزلت يوم عرفة بعرفة و رسول الله ﷺ واقف بعرفة ، يقول ابن تيمية : « و هذا مستفيض من وجوه أخرى . و هو منقول في كتب المسلمين الصحاح و المسانيد و الجوامع و السير و التفسير و غير ذلك ، و هذا اليوم كان قبل يوم غدیرخم بتسعة أيام ، فانه كان يوم الجمعة تاسع ذى الحجة ، فكيف يقال : إنها نزلت يوم الغدير . »

و أما ما جاء في هذه الرواية من هذا اللفظ و هو قوله : اللهم وال من والاه و عاد من عاداه ، و انصر من نصره و اخذل من خذله ، كذب باتفاق أهل المعرفة بالحديث ، و يقول : إن دعاء النبي ﷺ بحجاب ، و هذا الدعاء ليس بمجاب فعلم أنه ليس من دعاء النبي ﷺ .

و قال المؤلف الراضى إن قوله تعالى : « مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان » على و فاطمة بينهما برزخ لا يبغيان النبي ﷺ ، و أول « يخرج منهما اللؤلؤ و المرجان » الحسن و الحسين .

يقول ابن تيمية رداً على هذا الكلام :

« إن هذا و أمثاله يقول من لا يعقل ما يقول ، و هذا بالهذيان أشبه منه بتفسير القرآن و هو من جنس تفسير الملاحدة و القرامطة الباطنية للقرآن بل هو شر من كثير منه » وقد ذكر بعد ذلك ستة وجوه تكذب هذا الرأي .
أحدها : أن هذا في سورة الرحمن وهي مكية باجماع المسلمين ، والحسن و الحسين إنما ولدوا بالمدينة ، و الثاني : أن الله ذكر أنه مرج البحرين هذا في آية أخرى فقال في الفرقان : « و هو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات ، و هذا ملح أجاج » فلو أراد بذلك عيباً و فاطمة لكان ذلك ذمّاً لأحدهما باجماع أهل السنة و الشيعة ، و الثالث : أنه لو أريد بذلك على و فاطمة لكان البرزخ هو النبي ﷺ بزعمهم أو غيره هو المانع لأحدهما أن يعنى على الآخر ، و هذا بالذم أشبه منه بالمدح .

و هكذا فان هذا الجزء من كتاب الرافضي مليء بالغرائب و العجائب و قد تصدى ابن تيمية للرد عليه في ضوء الحديث و الفقه و التاريخ و النقد بما يتبين به مدى ذكائه و وفرة علمه و غزارة مادته و قوة مناظرته ، إنه يقول و هو ينتقد دلائل المؤلف الرافضي : « فضل على و ولايته لله و علو منزلته عند الله معلوم عند الله - و لله الحمد - من طرق ثابتة أفادتنا العلم اليقيني لا يحتاج معها إلى كذب و لا إلى ما لا يعلم صدقه (١) » .

والجزء المهم الآخر من كتاب ابن تيمية هو ما يبحث فيه عن « منهاج الكرامة » و يرد على المطاعن التي يتناول بها الصحابة الكرام رضي الله عنه بوجه عام و يطعن بها الشيخين بوجه خاص ، و أبا بكر الصديق رضي الله عنه بوجه أخص ، و هذه المطاعن و الإيرادات حول شخصية الصحابة و الشيخين

(١) منهاج السنة ج ٤ ص ١٨٦ .

مأخوذة من القرآن أيضاً كما يزعم المؤلف الرافضي ، و من الأحاديث و كتب السير و التاريخ أيضاً ، و هي دليل على أن العداوة لا تترك أي إنسان مهما كان عاقلاً و متعلماً إلا و تعميه ، و نورد فيما يلي نموذجين لهذه المطاعن .

إن الآية الشهيرة في القرآن التي تعتبر أكبر دليل على فضيلة أبي بكر الصديق رضي الله عنه و منزلته السامية التي يتفرد بها لا يعادله فيها أي فرد من أفراد الأمة وهي قوله تعالى : « إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار ، إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا » يقول صاحب « منهاج الكرامة » إنه لا فضيلة له في الغار لجواز أن يستصعبه حذراً منه لثلا يظهر أمره ، و أيضاً فان الآية تدل على نقيضه لقوله « لا تحزن » فانه يدل على خوفه و قلة صبره ، و عدم يقينه بالله تعالى و عدم رضاه بمساواته النبي ﷺ و بقضاء الله و قدره ، ... و أيضاً فان القرآن حيث ذكر إنزال السكينة على رسول الله ﷺ أشرك معه المؤمنين إلا في هذا الموضوع و لا نقيض أعظم منه (١) .

و قد أجاب عليه ابن تيمية أولاً باثبات المناقب و الفضائل الكثيرة التي جمعها الله تعالى في هذه الآية لأبي بكر الصديق رضي الله عنه ، و بأن هذه المعية التي أكرم الله بها أبا بكر الصديق رضي الله عنه إنما كانت خاصة به ، و أما قول الرافضي « لجواز أن يستصعبه حذراً منه لثلا يظهر أمره » يدل على أن النبي ﷺ لم يكن يثق به و لا كان مطمئناً من قبله « فعلوم أن أضعف الناس عقلاً لا يخفى عليه حال من يصعبه في مثل هذا السفر الذي يعاديه فيه الملا الذين هو بين أظهرهم و يطلبون قتله ، و أولياؤه هناك ، لا يستطيعون

(١) منهاج السنة ج ٤ ص ٢٣٩ .

نصره فكيف يصحب واحداً من يظهر له موالاته دون غيره و قد أظهر له هذا حزنه و هو مع ذلك عدو له في الباطن ، والمصحوب يعتقد أنه وليه ، و هذا لا يفعله إلا أحمق الناس و أجهلهم ، ففجح الله من نسب رسوله الذي هو أكل الخلق عقلاً و علماً و خبرة إلى مثل هذه الجهالة و الغباوة (١) ، و يقول ابن تيمية :

« و لقد بلغني عن ملك المغول خربنداه الذي صنف له هذا الرافضي كتابه هذا في الامامة أن الرافضة لما صارت تقول له مثل هذا الكلام أن أبا بكر كان يبغض النبي ﷺ و كان عدوه ، و يقولون مع هذا أنه صحبه في سفر الهجرة الذي هو أعظم الأسفار خوفاً قال كلبه تلزم عن قولهم الخبيث و قد برأ الله رسوله منها كان قليل العقل ولا ريب أن من فعل ما قالته الرافضة فهو قليل العقل و قد برأ الله رسوله و صديقه من كذبهم (٢) » .

ثم تناول ابن تيمية كلام الرافضي جزءاً جزءاً ورد عليه بتفصيل ، و ذكر المواضع التي جاء فيها ذكر الحزن و الخوف في القرآن الكريم ، و أن الحزن و الخوف إنما ثبت لأولى العزم من الرسل و الأنبياء و كبار الأولياء و الصالحاء و أفراد أهل البيت ، أما قول الرافضي إن القرآن حيث ذكر إنزال السكينة على رسول الله ﷺ أشرك معه المؤمنين يوهم أنه ذكر ذلك في مواضع متعددة وليس كذلك بل لم يذكر ذلك إلا في قصة حنين كما قال تعالى :

« و يوم حنين إذ أعجبتكم كثيركم فلم تغن عنكم شيئاً و ضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ، ثم أنزل الله سكينته على رسوله و على المؤمنين و أنزل جنوداً لم تروها » فذكر إنزال السكينة على الرسول و المؤمنين بعد أن

(١) منهاج السنة ج ٤ ص ٢٥٥ . (٢) أيضاً ج ٤ ص ٢٥٦ .

ذكر توليتهم مدبرين (١) .

و قد ذكر إنزال السكينة على المؤمنين و حدهم في مواضع عديدة من القرآن ، و تناول ذلك بالبحث و التفصيل .

و النموذج الثاني لهذا التعصب و الجهل الأعمى حول ما جاء في كتب السير أن النبي ﷺ عندما كان في العريش يوم بدر كان أبوبكر رضي الله عنه أنيسه ، يقول الرافضي :

« و أما كونه أنيسه في العريش يوم بدر فلا فضل فيه لأن النبي ﷺ كان أنسه بالله مغنياً له عن كل أنيس ، لكن لما عرف النبي ﷺ أن أمره لأبي بكر بالقتال يؤدي إلى فساد الحال حيث هرب عدة مرار في غزواته (٢) » و قد ساءت ابن تيمية هذه التهمة فارت فيه حماسة الايمان والصدق ، و رد عليه بقوله :

« الجواب أن يقال لهذا المفترى الكذاب ما ذكرته من أظهر الباطل بوجوه :

أحدها : أن قوله « هرب عدة مرار في غزواته » يقال له هذا الكلام يدل على أن قائله من أجهل الناس بمغازي رسول الله ﷺ و أحواله ، و الجهل بذلك غير منكر من الرافضة فانهم من أجهل الناس بأحوال الرسول و أعظمهم تصديقاً بالكذب فيها و تكذيباً بالصدق منها ، و ذلك أن غزوة بدر هي أول مغازي القتال لم يكن قبلها لرسول الله ﷺ و لا لأبي بكر غزاة مع الكفار أصلاً ، و غزوات القتال التي قاتل فيها النبي ﷺ تسع غزوات . . . و أما الغزوات التي لم يقاتل فيها فهي نحو بضع عشرة ، و أما سرايا فمنا ما كان فيه

(١) منهاج السنة ج ٤ ص ٢٧٢ . (٢) أيضاً ج ٤ ص ٢٨٤ .

قتال و منها ما لم يكن فيه قتال ، و بكل حال فبدر أول مغازي القتال باتفاق الناس . . . و ليس قبلها غزوة ولا سرية كان فيها قتال إلا قصة بني الحضرمي ولم يكن فيها أبو بكر ، وكيف يقال إنه هرب قبل ذلك عدة مراراً في مغازيه .
 الثاني : أن أبا بكر رضي الله عنه لم يهرب قط حتى يوم أحد لم ينهزم لا هو و لا عمر . . . فمن أثبت ذلك عليهما هو المدعى لذلك فلا بد من إثبات ذلك بنقل يصدق .
 الثالث : أنه لو كان في الجبن بهذه الحالة لم يخصه النبي ﷺ دون أصحابه بأن يكون معه في العريش ، بل لا يجوز استصحاب مثل هذا في الغزو ، فانه لا ينبغي للامام أن يقدمه على سائر أصحابه و يجعله معه في عريشه (١) .
 التناقض في سيدنا علي رضي الله عنه : يتحدث ابن تيمية عن سيدنا علي رضي الله عنه و يشبهه الراضية بالنصاري ، فكما أن النصاري اتخذوا أربابهم و رهبانهم أرباباً من دون الله و اتخذوا المسيح ابن الله ثم صوروا حادث صلبه بحيث إنه إنما يبدو إنساناً عاجزاً لا يملك من أمره شيئاً ، ويستهدف لكل إهانة و ذل و استهزاء و سخرية ، كذلك الراضية الذين خلعوا علي سيدنا علي رضي الله عنه صفات تثبت أن مكاته أرفع من مكانة النبي ﷺ ولولاه لم يردهر الاسلام ولم ينتشر في الآفاق ولم ينهزم الكفر ، ثم أثبتوا عجزه وضعفه بأزاء الخلفاء الثلاثة إلى أنه لم يستطع أن يستنكر ما قد كان يراه خلافاً لضميره وعقيدته ، ويحتمل كل إهانة و ذلة لنفسه ولأهل البيت من غير أن يحارب ذلك أو يدافع عنه ، فهذا تناقض صريح ، يعرفه كل ذي عقل ، يقول ابن تيمية :
 « و هؤلاء الراضية يجمعون بين النقيضين لفرط جهلهم و ظلمهم يجعلون

علياً أكل الناس قدرة و شجاعة حتى يجعلوه هو الذي أقام دين الرسول و أن الرسول كان محتاجاً إليه ، و يقولون مثل هذا الكفر إذ يجعلونه شريكاً لله في إقامة دين محمد ثم يصفونه بغاية العجز و الضعف و الجزع و التقيّة بعد ظهور الاسلام و قوته و دخول الناس فيه ، ومن المعلوم قطعاً أن الناس بعد دخولهم فيه في دين الاسلام أتبع للحق منهم قبل دخولهم فيه ، فمن كان مشاركاً لله في إقامة دين محمد حتى قهر الكفار و أسلم الناس ، كيف لا يفعل هذا في قهر طائفة بغوا عليه هم أقل من الكفار الموجودين عند بعثة الرسول و أقل منهم شوكة و أقرب إلى الحق منهم (١) .
مبحث الامامة : تناول ابن تيمية مبحث الامامة بغاية من التفصيل ، وأنكر بقوة ما يقوله الراضية في تعريف معنى الامامة ، و اعتبارها ركناً من أركان الدين ، و رد على جميع الدلائل التي يستدلون بها على إثبات الامامة عقلاً و نقلاً ، و لا سيما عقيدة الامام الغائب فقد استهزأ بها و أثبت أن هذه العقيدة لا تشر سوى الفساد و الخلاف و البطالة و التعطل (٢) .

الراضية لا تعنى بالكتاب و السنة : يقول ابن تيمية : والراضية لاتعنى بحفظ القرآن و معرفة معانيه و تفسيره و طلب الأدلة الدالة على معانيه ، و لا تعنى بآثار الصحابة والتابعين حتى تعرف ما خدمهم ومسالكهم بل عمدتها آثار تنقل عن بعض أهل البيت ، فيها صدق و كذب (٣) .
تعطيل الراضية المساجد و رفضهم الجمعة و الجماعة : و يقول :
 « و كذلك الراضية غلوا في الرسل بل في الأئمة حتى اتخذوهم أرباباً من

(١) منهاج السنة ج ٤ ص ٥٦ .
 (٢) أنظر ج ٣ ص ٢٤٩ - ٢٥٠ .
 (٣) أيضاً ص ٤٠ .

(١) أيضاً ج ٤ ص ٢٨٤ - ٢٨٥ .

دون الله فتركوا عبادة الله وحده لا شريك له التي أمرهم بها الرسل ، فجددتم يعظون المساجد التي أمر الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، فلا يصلون فيها جمعة ولا جماعة ، وليس لها عندهم كبير حرمة ، وإن صلوا فيها صلوا فيها وحداناً ، ويعظون المشاهد المبنية على القبور فيعكفون عليها مشابهة للمشركين ، ويحجون إليها كما يحج الحاج إلى البيت العتيق (١)

متأخرو الشيعة أتباع المعتزلة : ويقول شيخ الاسلام : « وهم في دينهم لهم عقليات وشرعيات ، فالعقليات متأخروهم فيها أتباع المعتزلة إلا من تفلسف منهم فيكون إما فيلسوفاً وإما متزجاً من فلسفة واعتزال و يضم إلى ذلك الرفض مثل مصنف هذا الكتاب (٢) »

فإن مؤلف كتاب « منهاج الكرامة » قد أثار في هذا الموضوع بحثاً للعقائد والكلام يتجلى فيها لون الاعتزال والفلسفة بوضوح ، وقد رد عليها جميعاً ابن تيمية بغاية من التفصيل ، ويتضمن كلامه هذا بحثاً فلسفياً وكلامياً عميقة ، وبما أن شيخ الاسلام غواص في بحور المعقول والمنقول كليهما تناول الموضوع كعادته بشرح وإيضاح بالغين (٣) ، ولم يترك حتى جزءاً واحداً إلا وقد رد عليه ، وتوصل إلى نتيجة أن اطلاع هذه الفرقة على العلوم العقلية عابر سطحي ، حتى إن علماءهم لا يعدون تلاميذ الابتدائية في هذا العلم . التاريخ الماضي : لقد أشار ابن تيمية في مواضع متعددة من مؤلفاته إلى

(١) أيضاً ج ١ ص ١٣١ .

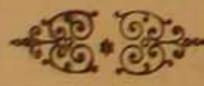
(٢) أيضاً ج ٣ ص ٤٠ .

(٣) أيضاً ج ٣ من ص ٣٠ إلى ص ١٢٩ .

أن الرافضة في كل دور من أدوار التاريخ « يوالون أعداء الدين الذين يعرف كل أحد معاداتهم من اليهود والنصارى و المشركين ، و ليس لهم سعى إلا في هدم للاسلام و نقض عراه و إفساد قواعده » حتى اضطر أخيراً إلى أن يصرح فيقول « فأبامهم في الاسلام كلها سود (١) »

أهل السنة في طريق عادل : يعتقد ابن تيمية أن أهل السنة هم وخدم الذين يأخذون بالقصد و العدل في طريقهم من بين جميع فرق المسلمين ، وهم الذين يعتبرون بمعزل عن كل إفراط و تفريط ، لا تعارض عندهم بين حب أهل البيت و تعظيم الصحابة الكرام رضی الله عنهم ، إنهم يجمعون بين هاتين التعمتين و كلتا الحسينين ، و ذلك هو الاسلام الصحيح ، إنه يقول

« و أما أهل السنة فيتولون جميع المؤمنين ويتكلمون بعلم و عدل ليسوا من أهل الجهل ولا من أهل الأهواء و يتبرؤون من طريقة الروافض النواصب جميعاً و يتولون السابقين الأولين كلهم ، ويعرفون قدر الصحابة و فضلهم و مناقبهم و يرفعون حقوق أهل البيت التي شرعها الله لهم (٢) »



(١) أيضاً ج ٤ ص ١١١ .

(٢) أيضاً ج ١ ص ١٦٥ .

فانها لم تتغافل تربية وتعليم ابنتها المحبب فعندما علمت ان هناك عالماً تقياً ورعاً يسكن في دلهي و هو شمس الدين الخوارزمي و هو الذي كان قد اتخذها بلين وزيراً له فيما بعد ، أرسلت إليه نظام الدين للاستفادة ، لحفظ عنه أربعين مقامة من المقامات الحريرية و قرأ المشارق للصفاني على الشيخ كمال الدين محمد الزاهد الماربيكلي و حفظه كقارة عن المقامات و كان إذ ذاك عالم كبير آخر يسكن بجوارينها يسمى بنجيب الدين المتوكل و كان نظام الدين رحمه الله يزوره في معظم الأحيان فيبينا هو جالس أمامه سمع واحداً من زائريه يتحدث عن أخيه المعروف بالخواجه فريد الدين جنج شكر و مناقبه و عاداته و طرق سلوكه و علو مرتبته و أشغاله و أعماله و زهده و سخائه و خشيته و اتباع السنة بمخالفاتها فاشتاق إلى رؤيته نظام الدين الأولياء ، فعزم على سفره إلى أجودهن ، وهياً الأسباب للسفر المبارك وقام برحلة دينية محضة حتى وصل إليه و لاقاه بقلب طهور و أخذ أثناء إقامته عن الشيخ الكبير القرآن الكريم و عوارف المعارف و كتاب التمهيد للشيخ أبي شكور الساملي ، و بايعه و صحبه مدة عكف خلالها على تزكية النفس و تطهير الباطن و صفاء القلب و تنوير الروح حتى أجازته الشيخ و أمره بالذهاب إلى دلهي .

أوضاع سائدة في دلهي في ذلك الوقت :

فلما وصل إلى دلهي وجدها غير ما شاء أن يجدها فان مواطني دلهي لم يكونوا صالحين ، أخلاقهم رديئة وعاداتهم قبيحة ، فمعظم الناس كانوا أشراراً و أردالا وأوغاداً يهرب منهم الصالحون و يفر منهم الزاهدون ، فقلق الشيخ نظام الدين قلقاً شديداً و لم يستطع الاختيار بين إقامته فيها أو الابتعاد عنها ، و لكن لم يكن له مفر من الامتثال لأمر شيخه .

الشيخ نظام الدين الأولياء : ومكاته في المجتمع الهندي

الأستاذ السيد أبو بكر الحسني

ما زالت دلهي عاصمة بلاد الهند ، مركزاً هاماً للعلماء والصلحاء والأتقياء والأولياء فكان الشيخ نظام الدين الأولياء ، من بين هؤلاء الأولياء الذين ذاع صيتهم في السهل و الجبل ، و انتشرت شهرتهم في القرى و المدن .
و يسمى هذا العالم الجليل التقي بمحمد بن أحمد بن علي البخاري نظام الدين الأولياء ، و جاء في أخبار الأخبار أن جده الخواجه علي قد قدم إلى الهند من بخارا و أقام في لاهور برهة من الزمن ثم انتقل إلى بدايون حيث تولد شيخنا الجليل نظام الدين سنة ٦٣٦ من الهجرة .

مولده :

و جاء في كتاب تاريخي آخر أن والده أحمد بن دانيال قدم إلى الهند من غزنيين ، ومهما يكن من أمر ، فإنه قد ثبت أن أسرته قد استوطنت بدايون . و يذكر التاريخ أن أباه قد توفي عندما كان نظام الدين رحمه الله لم يتجاوز الخامسة من عمره فتربى طبعاً تحت رعاية أمه زليخا ، و كانت أمة صالحة متدبنة فتركت أخلاقها و خصائلها الحميدة أثراً عميقاً على ابنها الذكي العاقل .
و مما يذكر أنه لما توفي والده انتقلت والدته مع ابنها من بدايون إلى دلهي و سكنت بالقرب من أحد المساجد ، و عاشت عيشة عسيرة و مع ذلك

طرق إصلاحه بالقول والعمل :

فظاف أولاً بنواحيها و شاهد أمورها و أحوالها ثم استقر على ما عزمه و اختار لنفسه غياث بور ، قرية صغيرة و أسس « زاوية » أصبحت فيما بعد مركز الإصلاح و التبليغ ، و مرجع الخلائق عامة و خاصة ، و كانت أيامه في ذلك الوقت شاقة متعبة بحيث إنه لم يستطع إطعام نفسه و غيره فجعل يروح إلى الغابات يجمع منها الحطب و يطبخ الطعام بنفسه فيأكله مع تلامذته و مريديه و على الرغم من هذا البؤس و الشقاء كان دائماً نشيطاً يستقبل الناس برحابة صدر و ببشرة مبتسمة يعلمهم و يزيكهم و يرشدهم إلى سواء الصراط فأصبح اسمه معروفاً في جميع القرى و المدن يفد إليه الناس من كل حدب و صوب ليخرجهم من الظلمات إلى النور و يهديهم من الضلال إلى الرشاد فيمكث مثل هؤلاء الناس عنده أياماً يأكلون معه و يشربون معه ولو كان الطعام خشناً و الماء ساخناً فعند ما علم السلطان جلال الدين الخلاجي بفقره قدم إليه تقديراً لعله و تقواه أرضاً يفتات بها فرفض الشيخ قبول مثل هذه النعمة و أبلغه هذا القول المشهور « لست أنا و المتوسلون إلى بحاجة إلى عقارك أو ضيعتك ، فكفسانا الله و هو حسبنا و نعم الوكيل » ، إنه لا شك فيه أن نظام الدين الأولياء كان من أجل أتباع بابا شكر جنج وأعظم مريديه ، فكان نظام الدين يضيع أوامر شيخه و يسلك مسلكه و ينفذ وصاياه ، و انقطع إلى الله سبحانه و تعالى بقلبه و قالبه مع الزهد و العبادة و العفاف و الخوع و التوكل و التضحية ، لا يذهب إلى سلطان ولا يزوره ، و إذا دعاه أرسل خادمه إليه فغضب السلطان مرة على ذلك و قال : إذا لم يحضر الشيخ بنفسه في الشهر القادم تفعل به ما نشاء ، فغزن مريدوه ، و لكنه لم يعاق أي أهمية على هذا

التهديد حتى أتى الشهر المقبل و جاء الوقت المحدد ولم يذهب إليه ، و علم أن السلطان الذي هدده قد قتل الليلة التي كانت محددة لزيارته .

نتائج تضحياته :

فلما عم تعليمه و ذاعت شهرته و تاب على يده كثير من المذنبين و الطفاه و المجرمين و قطاع الطرق و اللصوص ، و أصبحوا بعد إصلاحه صالحين التفت إليه أعيان المدينة و أصحاب الحكومة و منهم الأمير خسرو شاعر البلاط الملكي ، فنأثر بتعاليمه و حرص على ملازمته دائماً و دخل في زمرة مريديه و بلغ حبه بشيخه إلى درجة لم يبلغها أي مرید آخر .

كان الشيخ نظام الدين الأولياء دون أي شك مجاهداً كبيراً و زاهداً للغاية يقوم الليل و يعبد الله و يصوم النهار و يذكر أنه لم ينكح امرأة ولم يبن داراً و لم يدخر شيئاً و لم يرض ببقاء الملوك و السلاطين مهما كان إلحاحهم أو اشتياقهم فحدث مرة أن ملكاً من الملوك أراد أن يلاقيه بعقته ، فلما اطلع الشيخ على هذا الأمر خرج من دلهي و ذهب إلى « أجودهن » قبل أن يصل الملك إلى منزله .

إنه من أمر واقع أن الشيخ رحمه الله قد ضحى بحياته في إرضاء الله تعالى ، و إبلاغ أوامره و تربية الناس و تزكيتهم نفوسهم ، و إصلاح أحوالهم ، و نشر التعاليم الاسلامية المطهرة و تعميمها و ترويحها أحسن ترويح .

و جاء في كتاب نزهة الخواطر للثورخ الكبير العلامة الشيخ عبد الحى الحسنى شرح دقيق و وصف بليغ عن شخصية هذا الامام الكبير . و هذا هو النص :

الشيخ الامام العالم الكبير العلامة صاحب المقامات العلية و الكرامات

المشرفة الجليلة نظام الدين محمد بن أحمد على البخاري البدايوني أحد الأولياء المشهورين بأرض الهند، انتهت إليه الرياسة في دعاء الخلق إلى الله تعالى والتسليك في طريق العبادة، والانقطاع عن الدنيا مع التضلع من العلوم الظاهرة والتبحر في الفضائل الفاخرة .

ولد بمدينة بدايون في سنة ست و ثلاثين و ستمائة، و توفي والده في صغر سنه فربي في حجر أمه و اشتغل، و قرأ الفقه و الأصول والعربية على الشيخ علاء الدين الأصولي، ثم سافر إلى دلهي، وكان في الخامسة عشرة من سنه فقرأ الكتب الدراسية على أساتذتها، منهم الشيخ شمس الدين الخوارزمي، وحفظ عنه أربعين مقامة من مقامات الحريري، ثم قرأ المشارق للصغاني على الشيخ كمال الدين محمد الزاهد الماريكلي وحفظه كفارة عن المقامات، ثم سافر إلى أجودهن و أخذ عن الشيخ الكبير فريد الدين مسعود الأجودهي القرآن الكريم و عوارف المعارف و كتاب التمهيد للشيخ أبي شكور السالمي، ولبس منه الخرق و صحبه مدة، و أجازه الشيخ في سنة تسع و ستين و ستمائة، و أذن له إلى دلهي و أمره أن يقيم بها فرجع و أقام بدلهي في أمكنة عديدة يدور في محلاتها طالباً العزلة حتى أقام بغيث بور و اشتغل بها بالمجاهدة من الصيام و القيام و الذكر و الفكر في الأربعينات على طريق السادة المشايخ الجشبية و كان شيخه فريد الدين أوصاه عند توديعه أن يحفظ القرآن الكريم و أن يصوم دائماً و قال: إن الصوم نصف الطريق، فلأزمه وحفظ القرآن و انقطع إلى الله سبحانه و تعالى بقلبه و قلبه مع الزهد و العبادة و العفاف و القنوع و التوكل و الايثار و سائر الأخلاق المرضية، ولقد أحله الله تعالى من الولاية محلاً لا يرام فوقه، وهدى به في عهده ثم بأصحابه من بعده خلقاً لا يحصيهم إلا من أحصى رمل عاجل، فلا ترى ناحية من نواحي المسلمين من بلاد الهند إلا و قد نمت فيها طريقته و جرى على السنة أهلها ذكره، إليه ينتمون و به يتبركون . .

أخبار اجتماعية و ثقافية

كان الأسبوع الثاني من شهر نوفمبر بمثابة مهرجان لندوة العلماء فتحوت دار العلوم لندوة العلماء إلى ملتقى فكري إسلامي عالمي باجتماع شخصيات إسلامية عالمية و أعلام الثقافة و العلوم و الدعوة الإسلامية في فترة معينة، ستخلد ذكرياتها الحلوة، و ستخلف بآثارها العميقة على ذهن الدعاة و العلماء، و المنتسبين إليهم .

وصل إلى دارالعلوم، سعادة الأستاذ عبد الله العقيل مدير الشؤون الإسلامية في وزارة الأوقاف بالكويت وفضيلة الشيخ يوسف الحجبي رئيس جمعية الإصلاح الاجتماعي في الكويت، استقبلهما على المطار سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسن الندوي، رغم انحراف صحته في تلك الأيام، الذي وصل إلى مدينة لكهنؤ من بلدته رائي بريلي خصيصاً لاستقبال الضيوف الكرام الذين شرفوا هذه الدار لأول مرة، وتفقد الضيفان الكريمان جميع شعب دار العلوم وأقسامها التعليمية و الإدارية، و دور النشر والأجنحة الصحفية، و مكتبها العامرة التي تزخر بمئات من المخطوطات و النوادر و أديبا إجماعهما بالتنظيم الحديث للمكتبة، والتسهيلات الكافية للطالعة في القاعة الواسعة الجميلة لها، وتوفير فرص للاطلاع على الأحداث العالمية عن طريق تزويد الطلبة بمواد قراءة حديثة، و صحف إسلامية تصدر من العالم الإسلامي .

وأبدى الضيفان الكريمان اهتمامهما البالغ بطريقة تعليم الصغار، وتحفيظ القرآن و أمضيا وقتاً كبيراً في هذه الأجنحة، و توجهها بعد تفقد الصفوف

و الأقسام الادارية و المطبعة لدار العلوم إلى القاعة الجمالية للرواق السليمانى لحضور حفلة الترحيب .

بدأت الحفلة بالتلاوة ، تلاها تشيد دار العلوم باللغة الأردية فنشيد يا تلاميذ محمد ، ثم كلمة الترحيب ، و قد رحب الأستاذ محمد الرابع الحسنى الندوى بقدم الضيفين الكبيرين فى هذا المركز العلمى ، و قام الأستاذ سعيد الأعظمى الندوى فقدم كلمة تعريف و نوه بخدمات الضيفين فى مجال العلم و الدين و الدعوة ، و أشاد بجهادهما المبارك و نشاطهما الاسلامى الكبير فى البلاد الاسلامية بل فى العالم كله ، و قدم الطالب سلمان الحسينى كلمة ترحيب و ترحيب باسم اتحاد الطلبة و النادى العربى .

و تحدث الشيخ يوسف الحجى فقدم نصائح مفيدة للطلبة ثم تحدث الأستاذ عبد الله العقيل ، فأبدى سروره بزيارة هذا المركز العلمى ، و نوه بخدماته فى العلم و الدعوة ، و صرح أن الكتاب و السنة مصدران رئيسيان للشريعة ، و نبراس حياة المسلم فى كل مرحلة من مراحل حياته ، و أخيراً تحدث سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى ، فرحب بالضيفين الكريهين ، و قال إن استخدام كلمة الضيف لشخصيات زائرة مثل هذه الشخصيات تعبير خاطئ ، حيث إن العالم الاسلامى أسرة واحدة ، و زيارة أخ لأخ آخر لا تعتبر زيارة ضيف ثم استعاد خدمات علماء الهند ، و التضحيات التى قام بها المسلمون فى الهند ، و الصفحات النيرة التى سجلوها فى تاريخها الاسلامى ، و ارتباط المسلمين بالرباط الاسلامى و ولائهم له ، و تمسكهم به بالنواجذ ، بغض النظر عن كل ما يحدث أو يجرى فى الجزء الآخر من العالم ، فصرح أن المسلمين ظلوا أوفياء لدينهم ، و جعلوا مصيرهم دائماً مرتبطاً بمصير الاسلام ، بدلا من مصير دول المسلمين و حكوماتهم ،

فلم يرتبطوا لفهم الاسلام و دقائق تعاليمه بتركيا و لا باكستان ، و لا بالعرب أنفسهم رغم كل احترام و حب لهم ، و الاعتراف بأفضليتهم و منتهم عليهم ، فقد تكبر الجميع فى عصر من العصور ولكن مسلمى الهند حافظوا على وفاقهم لدينهم .

و فى العصر زار الضيفان المجمع العلمى الاسلامى ، و حضرا إجتماعاً للطلبة و تحدثا إليهم ، و وجه إليهما الطلبة أسئلة علمية و سياسية .

و بعد يوم زار دارالعلوم فضيلة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ، و الشيخ عبد الله البسام قاضى مكة المكرمة ، و الشيخ محمود الحافظ من أعضاء وفد رابطة العالم الاسلامى الذى حضر إجتماع الجماعة الاسلامية بدلمى ، و رغم قصر هذه الزيارة ، حملت هذه الساعات القليلة إلى قلوب الطلبة و أعضاء دار العلوم روحاً جديدة ، و أثارت عواطفهم ، ففقدت حفلة الترحيب فى نفس القاعة ، و عرف سماحة الشيخ أبى الحسن الندوى الضيوف الكرام ، بكلمات ملؤها الحب و الاحترام ، و الاكرام . و كانت القاعة قد اكتظت بالطلبة و أعضاء هيئة التدريس و الادارة .

و قد أبدى الضيوف من الكويت و السعودية إعجابهم و دهشتهم لجسامة النشاطات التى تقوم بها دار العلوم فى كل مجال ، من إعداد المناهج الدراسية الخاصة الملائمة لطبيعة الجو الهندى ، و تثقيف الطلبة الهنود بالثقافة الاسلامية و توعيتهم الفكرية ، و ضمان الراحة لهم ، و صرح الشيخ عبدالله العقيل بصفة خاصة أنه وجد هذه الدار أعظم و أكبر مما كان يتصورها قبل زيارته ، و وجد فيها إمكانات هائلة للعمل و النشاط .

مؤتمر الجماعة الإسلامية بالهند

عقدت الجماعة الإسلامية بالهند دورتها الخامسة في دلهي الجديدة في ٨ من نوفمبر ١٩٧٤م تحت رئاسة أميرها العام الشيخ محمد يوسف استغرقت أربعة أيام ، وقد حضر المؤتمر عدد من رجالات البلاد العربية والعالم الإسلامي ممن مثلوا المنظمات الإسلامية في أمريكا وكندا ، ونخص بالذكر منهم سعادة الأستاذ عبد الله العقيل ، وسعادة الشيخ يوسف الحجى ، ومعالى السيد يوسف هاشم الرفاعي من الكويت ، و فضيلة الشيخ الأستاذ عبد الفتاح أبو غده من الرياض ، وسعادة الأستاذ كامل الشريف من الأردن ، وفضيلة الشيخ أحمد كفتارو من سوريا ، و فضيلة الشيخ عبد الله البسام ، و فضيلة الأستاذ السيد محمود حافظ كندوبين لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة .

وكان عدد الذين شاركوا المؤتمر على تقدير المشتركين فيه ستة عشر ألفاً ، وقد اتسمت الدورة بعدة خصائص لم تعيدها الدورات السابقة للجماعة في الهند ، منها أن زعماء الجماعة قد اتخذوا مواقف استحققت أن تسمى بالدعاية للحكم الراهن في البلاد بشعور أو من غير شعور ، فقد نوه رئيس الجماعة بسياسة الحزب الحاكم ، ووصفها بالديمقراطية الطيبة وانتقد الأحزاب المعارضة للحكومة على سياسة اصطدامها مع الحكومة مما جعل المؤتمر في نظر كثير من الناس متعاطفاً مع الحكومة إلى حد الجفاء مع الكفاح الإسلامي والجهود التي يبذلها المسلمون في هذه البلاد لاستعادة حقوقهم المدنية و مكاتبتهم الصحيحة ، و إلى حد الاساءة إلى سمعة الشعب المسلم الهندي المرابط ، والمناضلين من أجل الحق في مختلف الميادين السياسية والاجتماعية و الادارية والتربوية وهي نقطة نعارض عليها الجماعة الإسلامية ، و سجلناها بكل صراحة وأسف ، حتى لا يعطى هذا المؤتمر صورة قائمة عن المسلمين و وضعهم الصحيح ، و جهادهم المرير في سبيل الإسلام وثباتهم على الجادة ، وموقفهم الصريح من المواقف السياسية المختلفة التي تقفها الحكومة ، ومعارضتهم لها في بعض النواحي الاقتصادية و التعليمية أشد المعارضة ، وبودنا أن تستعرض الجماعة سياستها الجديدة في هذا الضوء مرة أخرى ، ونرجو أن الدورة التالية ستكون أشد حرصاً على المبادئ و التمسك بالمنهج السليم القوي في سائر المجالات .

صدر حديثاً :

التي الخاتم

اسماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسيني الندوي

أثار بعض المفرضين في الزمن الأخير حول عقيدة ختم النبوة نقماً ،
و جعلوها من القضايا التي تحتاج إلى عرض جديد و إقناع مزيد بعد
ما كانت قضية مسلمة بديهية و قد دخلت القضية أخيراً في المرحلة الحاسمة
التي لا تحتمل تأجيلاً وأصدرت أكبر مملكة إسلامية حكمها في هذه القضية
ذات الصلة العميقة الوثيقة بمصير الاسلام والمسلمين ومستقبل هذا الدين .
و إن كانت القضية قد انتهت على الصعيد الحكومي و الإداري
فإنها في حاجة إلى أن تنتهي على الصعيد العلمي و الفكري ، و إن هذا
البحث النفيس الذي قدمه سماحة الشيخ في هذا الموضوع حقق هذا الغرض
الكبير فهو يداوي القلوب المريضة و العقول الزنفة و يقضي على هذه
القضية بأسلوب إقناعي على لا في أسلوب حماسي عاطفي ، و يفتح باباً
كبيراً من العلم و الايمان ، و البحث و الدراسة ، ويسد فراغاً كبيراً
في المكتبة الاسلامية الحديثة ، و يقدم معاني جديدة و أفكاراً جديدة
قد لا توجد في كثير من المؤلفات و الدراسات القديمة و الحديثة .

الناشر : المجمع العلمي الاسلامي ص. ب. 119 لكهنؤ (الهند)

کتاب خانہ ندوۃ العلماء لکھنؤ

عارفیت

خرید

سختا ہندو کم کتب خانہ	قیمت	بندیگی	نام مصنف	فن	نام کتاب	نمبر کتاب
لالہ		نورہ	سورانا سورانی سورنا سورنا	ہجرت	الصحف الاسلامی المذاہبات علیٰ سبیل الحدیث	۲۳۳۱ ۲۳۳۲ ۲۳۳۳

نوٹ: کتاب یا جلد پر کچھ لکھنا یا خراب کرنا ہجوم ہے۔ کسی خرابی پر کتاب کی پوری قیمت وصول کی جا سکتی ہے۔